تفسير

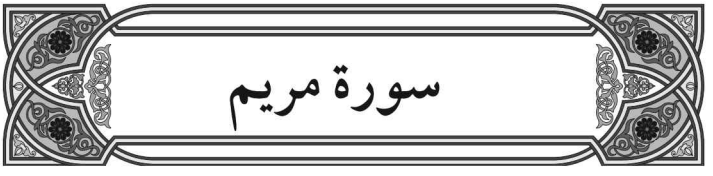

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «كاف : كاف ، ها : هادٍ ، عين : عالم ، صاد : صادق ، واليـاء : يد من الله على خلقه»[١] . وهذا قول الكلبي ، وزاده بياناً فقال : «معناه كاف لخلقه ، هادٍ لعباده ، يده فوق أيديهم ، عالم ببريته ، صـادق في وعده»[٢] . وعلى هذا ، كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله .

وذكـر أبو الهيثم قال : «روى سـعيد بـن جبير عن ابن عبـاس أنه قال في «كهيعص» : هو كاف ، هادٍ ، يمين ، عزيز ، صادق»[٣] .

---

(١) انظر : جامع البيان ١٦/ ٤١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٤ .

(٢) تفسـير القرآن للصنعاني ٢/ ٥ ، وجامع البيان ١٦/ ٤٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٤ .

(٣) تفسـير القرآن للصنعاني ٢/ ٥ ، وجامع البيـان ١٦/ ٤١ ، ومعالم التنزيـل ٥/ ٢١٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٥ .

قال أبــو الهيثم : «جعل الياء من يمين من قولك : يمن الله الإنســان يمينه ، يمنــاً ، ويُمْناً فهو مَيْمُون ، قال : فَاليَمِيْنُ واليَامِــنُ يكونان بمعنى واحد كالقدير والقادر»[١] .

وقال أبو إســحاق : «قال أكثــر أهل اللغة : إنها حــروف التَّهَجِّي تدل على الابتداء بالسورة»[٢][٣] .

وقُرئ : ها ، يا ، بالتفخيم والإمالة[٤] . قال أبو علي : «إمالة هذه الحروف لا يمتنع ؛ لأنها ليست بحروف معنى ، وإنما هي أسماء لهذه الأصوات»[٥] .

---

(١) تهذيب اللغة (يمن) ٤/ ٣٩٨٤ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٧ .

(٣) قال الطبري في تفسيره ١/ ٩٣ : «والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور التي هي حروف المعجم : أن الله ـ جَلَّ ثناؤه ـ جعلها حروف مقطعة ، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصــل الحروف ؛ لأنه عن ذكره أراد بلفظــه الدلالة بكل حرف منه على معــانٍ كثيرة لا على معنى واحد» . وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٠ : «إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القــرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها» . وقال الشــوكاني في تفسيره ٣/ ٣٦٤ : «وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بــين الصحابة وقع بين مَن بعدهم ، ولم يصح مرفوعــاً في ذلك شيء ، ومَن روي عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روي عن غيره ما يخالفه ، وقد يروى عن الصحابي نفســه التفاسير المتخالفة المتناقضة في هذه الفواتح فلا يقوم شيء من ذلك حجة ، بل الحق الوقف ورد العلم في مثيلها إلى الله سبحانه» . انظر : المحرر الوجيز ١/ ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٤ ، والتفسير الكبير ٢/ ٥ ، والتحرير والتنوير ١/ ٩٤ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٩٩ ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩٩ .

(٤) قرأ أبو بكر عن عاصم ، والكسائي (كهيعص) بإمالة الهاء والياء ، وقرأ أبو عمرو البصري (كهيعص) بإمالة الهاء وفتح اليــاء ، وقرأ ابن عمر ، وحمزة (كهيعص) بإمالة اليــاء وفتح الهاء ، وقرأ نافع المدني (كهيعص) بين اللفظين فيهما ، وذكر عنه الفتح ، وقرأ ابن كثير المكي ، وحفص عن عاصم (كهيعص) بفتحهما وتبيين الدال . انظر : السبعة ٤٠٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٢ ، وحجة القراءات ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٥٥ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .

قال سيبويه : «قالوا : يا ، تا ؛ لأنها أسماء ما يتهجى به»[١] . «فلما كانت أسماء غير حروف [جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء ، ويدلك على أنها أسماء غير حروف][٢] أنها إذا أخبرت عنها أعربتها ، كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتها ، فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء ، فكذلك هذه الحروف ، وإذا كانت أسماء شاعت فيها الإمالة»[٣] .

وروى حفص عن عاصم : عين صاد بين النون[٤] .

قال أبو عثمان : «بيان النون مع حروف الفم[٥] لحن ؛ إلَّا أن هذه تجري على الوقف عليها والقطع لها مما بعدها ، فحكمها البيان وأن لا تُخفى»[٦] . «وقول عاصم هو القياس فيها ، وكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف وعلى أنها منفصلة مما بعدها ، ومما يبين أنها على الوقف أنهم قالوا : ثلاثه اربعة ، فألقوا حركة الهمزة على الهاء لسكونها ولم يقلبوها تاء وإن كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف ، فكذلك النون ينبغي أن تبين ؛ لأنها في نية الوقف والانفصال مما بعدها . ولِمَنْ لم يبين أن يستدل بتركهم قطع الهمزة في قولهم : ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :١ ، ٢] ألا ترى أن الهمزة لم تقطع ، وإن كانت في تقدير الانفصال مما قبلها ، وكما لم تقطع الهمزة في ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ وفي قولهم : واحد اثنان ، كذلك لم تبين النون ؛ لأنها جعلت في حكم الاتصال كما كان الهمزة في ما ذكرنا»[٧] . كذلك قال أبو

(١) الكتاب لسيبويه ٢/ ٢٦٧ .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س) .
(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .
(٤) انظر : السبعة ٤٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .
(٥) في (ص) : (الفهم) ، وهو تصحيف .
(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .
(٧) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٦ .

الحسن : «تبيين النون أجود في العربية ؛ لأن حروف العدد والهجاء منفصل بعضه من بعض ، وعامة القرَّاء على خلاف التبيين»[(١)] .

٢. وقوله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ .قال أبو إسحاق : «﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضمر المعنى : هذا الذي نتلو عليك ذكر»[(٢)] . قال الأخفش : «كأنه قال : ومما نقص عليك ذكر رحمة ربك»[(٣)] .

وذكر الفرَّاء وجهاً آخر فقال : «الذكر مرفوع بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾»[(٤)] . وأنكره الزجَّاج فقال : «هذا محال ؛ لأن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ليس مما أنبأ الله به عن زكريا ، ولم يجئ في شيء من التفسير أن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ هو قصة زكريا»[(٥)] .

وقول الفرَّاء صحيح على قول مَن يقول : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ اسم لهذه السورة ، وهو قول الحسن[(٦)] . ويصير المعنى كأنه قيل هذه السورة ذكر رحمة ربك ، وقد تضمنت هذه السورة قصة زكريا .

وذكر صاحب النظم هذا القول فقال : «هذه الحروف كأنها اسم لهذه السورة ، فصارت مبتدأ وصار خبرها في قوله : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾»[(٧)(٨)] .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٧٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٦ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٨ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٤ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦١ . قال أبو البقاء في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٠ : «وفيه بُعد ؛ لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ، ولا في ذكر الرحمة معناها» .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٨ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٦ .

(٧) في (ص) : (ثم حذف المضاف) زائد على الأصل .

(٨) ذكر نحوه بلا نسبة في المحرر الوجيز ٩/ ٤٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٢ .

وقال ابن الأنباري مصححاً قول الفرَّاء منكراً على الزجَّاج : «تلخيص قول الفرَّاء ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ابتداء ذكر رحمة ربك ، وتقدمه ذكر رحمة ربك ثم حذف المضاف ، وافتتاح الشيء داخل فيه ومحسوب من جملته»[١] . والمراد بالرحمة هاهنا : إجابة الله -تعالى- زكريا حين دعاه وسأله الولد[٢] . وانتصب قوله : ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ بالذكر ، ومعنى الآية على التقديم والتأخير تقديرها : ذكر ربك عبده بالرحمة ، هذا قول الفرَّاء ، والزجَّاج ، وصاحب النظم[٣] .

وقال الأخفش : «انتصب العبد بالرحمة كما نقول : هذا ذكر ضرب زيد عمراً»[٤] . وهذا هو الوجه ؛ لأن الله -تعالى- ذكر في هذه السورة رحمته زكريا بإجابة دعائه ، وليس يحتاج في هذا القول تقدير التقديم والتأخير .

٣. قوله تعالى : ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ بمعنى : الخافي ، يقال : خفي الشيء يخفى ، خفاء ، فهو خافٍ ، وخفيٌّ كما يقال : سامع وسميع[٥] . قال ابن عباس : «يريد يخفي ذلك في نفسه»[٦] . قال ابن جريج : «لا يريد رياء»[٧] .

---

(١) ذكر بلا نسبة في المحتسب ٢/ ٣٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٢ ، والدر المصون ٧/ ٥٦١ .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٥٤ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٧٩ ، وفتح القدير ٣/ ٤٥٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٦١ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٨ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٤ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ ، والمعجم الوسيط (خفى) ١/ ٢٤٧ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٨٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٥٩ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٤٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٦ .

وهذا يدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء . قال الحسن : «وقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت إن كان إلَّا همساً بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله -عز وجل- يقول[١] : ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف :٥٥]»[٢] . وذكر الله عبداً صالحاً ورضي قوله فقال : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ ، وقال الكلبي : «أخفاه وأسره عن قومه لئلا يسمعوه»[٣] . وهذا يقرب من قول مَن قال : «إنما أخفى ؛ لأنه خاف أن يلام على مسألته الولد عند كبر سنه ، فدعا الله خفياً من قومه» . وهذا القول حكاه ابن الأنباري عن الكلبي ، ومقاتل بن سليمان قالا : «إنما أخفى نداءه استيحاء من أن يرى الناس شيخاً كبيراً يتمنى الولد ويحب أن يرزقه»[٤] .

٤. قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ .وهن : ضعف ، يَهِن وَهْناً ووَهَناً ، فهو واهنٍ ، وأوهنه يُوهِنُه[٥] . ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ أي انتشر فيه الشيب كما ينتشر شعاع النار في الحطب ، وهذا من أحسن الاستعارة إذ شبه بياض الشيب وانتشاره في الرأس بشعاع النار وانتشارها[٦] .

---

(١) قوله : (يقول) :ساقط من (ص) .

(٢) ذكر نحوه مختصراً الهواري في تفسيره ٣/ ٦ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٦ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٨٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٣ ، وأنوار التنزيل ٤/ ٢ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٦ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٠٤ بعد ذكر هذه الأقوال : «كل ذلك ليس بالأظهر ، والأظهر أن السر في إخفائه هو ما ذكرنا من كون الإخفاء أفضل من الإعلان في الدعاء» .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (وهن) ٤/ ٣٩٦٦ ، ومقاييس اللغة (وهن) ٦/ ١٤٩ ، والقاموس المحيط (وهن) ١٢٣٩ ، ولسان العرب (وهن) ٨/ ٤٩٣٥ .

(٦) انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٥٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢٦ ، والكشاف ٢/ ٤٠٥ ، والإيضاح في علوم البلاغة ٣٠٢ ، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٣٥ .

وأصل هذا الحرف من الاشتعال يقال : غارة مُشْعِلة ، وقد أَشْعَلَت إذا تفرقت .

قال ابن السكيت : «جاء جيش كالجراد المُشْعِل ، وهو الذي يخرج في كل وجه ، وكَتِيْبَةٌ مُشْعَلَةٌ : إذا انتشرت»(١) . قال جرير(٢) :

عَايَنْتُ مُشْعِلَةَ الرِّعَالِ كَأَنَّها طَيرٌ تُغَاوِلُ في شَمَامِ وُكُوْرا

ويقال أيضاً : أَشْعَلْت جَمْعَهم ؛ أي فرقتهم ، ومنه يقال : أَشْعَلْتُ النار في الحطب ؛ أي فرقتها فيه فَاشْتَعَلَت . قال الزجَّاج : «يقال للشيب إذا كثر جداً : قد اشتعل رأس فلان»(٣) . قال لبيد(٤) :

إنْ تَرَيْ رَأْسي أَمْسَى وَاضِحاً سُلِّطَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ فَاشْتَعَلْ

أي انتشر وكثر ، والاشتعال للشيب إلَّا أنه نقل الفعل إلى الرأس فخرج الشيب مفسراً ؛ ولذلك نصب كما يقال : ألم رأسه ، ووجع بطنه(٥) .

وقال بعضهم : انتصب قوله : ﴿شَيْبًا﴾ على المصدر كأنه قال : شاب رأسي شيباً(٦) .

---

(١) تهذيب اللغة (شعل) ٢/ ١٨٩١ .

(٢) البيت لجرير في قصيدة يهجو بها الأخطل . المُشْعَلَة : المتفرقة . والرِّعَال : قطع الخيل . وتُغاوِلُ : تبادر سرعة . وشَمَام : جبل . انظر : ديوان جرير ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (غال) ٣/ ٢٦٢٤ ، ولسان العرب (غول) ٦/ ٣٣١٩ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٩ .

(٤) البيت للبيد من قصيدة يتحدث فيها عن مآثره ومواقفه ، ويأسى لفقد أخيه أربد . انظر : ديوان لبيد بن ربيعة ١٤٠ .

(٥) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠١ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠١ .

قال ابن الأنباري : «المعنى واشتعل شيب الرأس ، فنقل الفعل عن الشيب إلى الرأس وانتصب الشيب بتحول الفعل عنه وخروجه من الوصف ، يعني من أن يوصف بأنه فاعل ، كما يقال : مررت برجل حسن وجهاً ، نقلوا الحسن إلى الرجل ، فلما انعدل الحسن عن الوجه انتصب بخروجه عن الوصف . قال : ويجوز أن يكون الشيب نائباً عن المصدر ، والتأويل واشتعل الرأس اشتعالاً ، فسد الشيب مسد الاشتعال ، كما تقول : جاء فلان ركضاً ، والتأويل ركض ركضاً أو جاء مجيئاً»[١] .

ومعنى الشيب : مخالطة الشعر الأبيض الأسود ، وهو موافق لمعنى الشايب الذي يخلط الشيء بغيره[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ﴾ ؛ أي بدعائي إياك ، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك»[٣] .

[وقال مجاهد : «كنت تعرفني الإجابة إذا دعوتك»][٤][٥] . وهذا قول الجميع . ويقال : شقي فلان بكذا[٦] إذا أتعب بسببه ولم يحصل له طائل ، يقول : لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب .

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٧ ، والدر المصون ٧/ ٥٦٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (شاب) ٢/ ١٧٩٩ ، ومقاييس اللغة (شيب) ٣/ ٢٣٢ ، والقاموس المحيط (شيب) ٩٩ ، والمعجم الوسيط (شيب) ١/ ٥٠٢ .

(٣) ذكرته بعض كتب التفاسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٤٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٨ ، وتنوير المقباس ٢٥٤ .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ٤٦ من دون نسبة ، وكذلك الماوردي في تفسيره ٣/ ٣٥٥ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) قوله : (بكذا) : ساقط من (س) .

٥. وقوله تعالى : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ .أراد بالموالي : الورثة ، وهم العصبة ، والكلالة . قاله ابن عباس في رواية الضحاك ، وهو قول مجاهد ، وجميع أهل التفسير[١] .

قال الزجَّاج : «ومعنى ﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ : هم الذين يلونه في النسب ، كما أن معنى القرابة : الذين يقربون منه بالنسب»[٢] .

وقال الفرَّاء : «﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ هم بنو العم ، وورثته ، والولي والمَوْلَى في كلام العرب واحد»[٣] .

ويقول تعالى : ﴿مِن وَرَآءِى﴾ ؛ أي من بعد موتي ، واختلفوا في معنى خوفه ، فقال بعضهم : «خاف أن يرثه غير الولد»[٤] .

وقيل : «خاف أن تذهب النبوة من نسبه إلى بني الأعمام»[٥] . وهذا ليس بشيء ؛ لأنه لا يكون خوفاً من الموالي ، والصحيح في معنى خوفه ما ذكره أبو علي فقال : «الخوف لا يكون من الأعيان في الحقيقة ، إنما يكون من معانٍ فيها ، فإذا قال القائل : خفت الله ، وخفت الوالي ، وخفت الناس ، فالمعنى : خفت عقاب الله ومؤاخذته ، وخفت عقوبة الوالي ، وملامة الناس ، وكذلك أي : ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ ، أي خفت تضييع بني عمي ، فحذف المضاف ،

---

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٣ ، وجامع البيان ١٦/ ٤٦ ، ٤٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٨ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢١٩ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦١ .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٤٢٧ ، والكشاف ٢/ ٤٠٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٨ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : جامع البيان ١٦/ ٤٦ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٢ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ .

والمعنى تضييعهم للدين ، ونبذهم إياه وإطراحهم له ، فسأل ربه ولياً يرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين ، وكأن الذي حمله على مسألة ذلك ما شاهدهم عليه من تبديلهم للدين ، وتوثُّبِهِم على الأنبياء ، وقتلهم إياهم»[١] .

ويؤكد هذا ما روى عطاء عن ابن عباس قال : «يريد بالموالي بني إسرائيل»[٢] . وبنو إسرائيل كانوا يبدلون ويقتلون الأنبياء[٣] ، وعلى هذا سَمَّى بني إسرائيل موالي ؛ لأنهم كانوا بني أعمامه .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ ؛ أي عقيماً لا تلد ، وهذا الذي قاله زكريا إخبار عن خوفه في ما مضى حين كانت امرأته لا تلد ، وكان هو آيساً من الولد لذلك ذكره بلفظ الماضي في ﴿خِفْتُ﴾ ﴿وَكَانَتِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أي ابناً صالحاً يتولاه ، قال أبو إسحاق : «قوله : ﴿وَلِيًّا﴾ يدل على أنه سأل ولداً دَيِّناً ؛ لأن غير الدَّيِّنِ لا يكون ولياً لنبي»[٤] .

٦. قوله تعالى : ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ .قُرئ : بالرفع ، والجزم[٥] . فالرفع على صفة الولي ، كأنه سأل ولياً وارثاً علمه ونبوته ، والجزم على جواب

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٩ .

(٢) ذكر في كتب التفاسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٥٥ ، والكشاف ٢/ ٤٠٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٦١ ، والدر المصون ٧/ ٥٦٦ .

(٣) إلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله-تعالى - في سورة البقرة ، الآية ٥٩ : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ الآية . وقال -تعالى - في الآية ٦١ : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٠ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفعهما ، وقرأ أبو عمرو والبصري ، والكسائي (يرثني ويرث) بالجزم فيهما . انظر : السبعة ٤٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩١ ، والعنوان في القراءات ١٢٦ ، والنشر ٢/ ٣١٧ .

الأمر ، والرفع أصح القراءتين ، إذ ليس المعنى على الجزاء وذلك ؛ لأنه ليس كل ولي يرث ، وإذا كان كذلك لم يسهل الجزاء من حيث لم يصح إن وهبته ورث ؛ لأنه قد يهب له ولياً لا يرث بأن يموت قبله ، أو لا يصلح لخلافة النبوة ، وإذا كان كذلك كان الوجه الرفع ، ووجه الجزم أنه أراد بالولي ولياً وارثاً ، فيصح الشرط بأن تقول : إن وهبت ورث إذا كان المسؤول ولياً وإرثاً[١] .

واختلفوا فيمَ يرثه هذا الولي ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يرث النبوة»[٢] . وهو قول أبي صالح : «يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء»[٣] . وقال مجاهد والسُّدِّي : «يرث العلم والنبوة»[٤] .

وقال الكلبي : «يرث مكاني وحبورتي»[٥] .

وقال قتادة : «نبوتي وعلمي»[٦] .

وقال ابن قتيبة : «يرثني الحبورة ، وكان زكريا حبراً ، ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ الملك ، قال : وكذلك قيل في التفسير»[٧] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩١ . قُرئ بالرفع والجزم كما مرَّ آنفاً ، وثبتت القراءة بهما وصحَّت عن النبي ﷺ ؛ فلا وجه لتضعيف قراءة الجزم .

(٢) التفسير الكبير ١١/ ١٨٤ ، وذكره من دون نسبة ابن الجوزي في تفسيره ٥/ ٢٠٩ ، وكذلك القرطبي في تفسيره ١٦/ ٨١ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٤٧ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٤٨ ، والوسيط ٣/ ١٧٦ .

(٥) روح المعاني ١٦/ ٦٢ ، وذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٥/ ٢١٩ ، والزمخشري في كشافه ٢/ ٤٠٥ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٥ ، وجامع البيان ١٦/ ٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٢ .

وقال قـــوم : أراد وراثة المال . وهو قول ابن عبـــاس في رواية عكرمة قال : «يرث مـــالي ويرث من آل يعقـــوب النبوة» . وهو قول الحســـن وســـفيان[١] . والصحيح القول الأول[٢] .

قال أبو إســـحاق : «لا يجوز أن يخاف زكريا أن يورث المال ؛ لأن أمر الأنبياء والصالحـــين أنهم لا يخافـــون أن يرثهـــم أقرباؤهم ما جعله الله لهـــم»[٣] . وكان يحيى بن يعمر[٤] يقول : «لئن كان إنما قال يرثني مالي إن كان إذاً لجشعاً»[٥] .

قال أبو عـــلي : «لا يخلو هذا من أن يكون أراد يرث مالي ، وعلمي ، ونبوتي ، وفي ما أثر عن رســـول الله ﷺ من أنه قال : «نحن معـــاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة»[٦] . دلالة على أن الذي ســـأل أن يرثـــه وليه ليس المال ، فإذا بطل

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٥٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٧ .

(٢) هو قول جمهور المفسرين ، وتشـــهد لـــه الأحاديث الصحيحة . قال ابن كثير ـرحمه اللهـ في تفســـيره ٣/ ١٢٤ : «إن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشـــفق على حاله إلى ما هذا حده ، وأن يأنف من وراثة عصابته له ، ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه .
والثاني : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان نجاراً يأكل من كســـب يديه ، ومثل هذا لا يجمع ولا سيما أن الأنبياء كانوا أزهد شيء في الدنيا .
والثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث ، ما تركنا صدقة» . وعلى هذا فيتعين أن المراد ميراث النبوة» . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٠٦ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٠ .

(٤) يحيـــى بن يعمر العدواني ، أبو ســـليمان البصري ، قاضي مرو ، إمام تابعي ثقـــة ، فقيه مقُرئ ، نحوي أديـــب ، عالم باللغة ، يقال : إنـــه أول مَن نقط المصحف ، مات ـرحمه اللهـ قبـــل المائة وقيل بعدها . انظر : ســـير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٨١ ، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٠٥ ، ومعجم البلدان ٢٠/ ٤٢ .

(٥) لم أقف عليه ، وهو قول بعيد ؛ لأنه لا يصح أن يقال ذلك في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ فهو وصف لا يليق بمكانة نبي الله زكريا عليه السلام ، وحاشاه أن يوصف بالجشع وهو صفة ذم ، والأنبياء ـعليهم السلامـ لهم صفات المدح والثناء ؛ فقد اصطفاهم الله واختصهم بالنبوة وشرَّفهم بها .

(٦) أخرجـــه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة رســـول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها الســـلام ٣/ ١٣٦٠ ، ومســـلم في كتاب الجهاد والســـير ، باب قول النبي ﷺ : «لا نورث ، ما تركناه =

هذا ثبت الوجه الآخر ، على أنه لا يجوز عـلى نبي الله أن يقول : أخاف أن يرثني بنو عمي وعصبتي على ما فرضته لهم ، ويدل على صحة هذا قراءة عثمان رضي الله عنه : «وإني خَفَّتِ الموالي»[١] ؛ أي أنهم قَلُّوا وقَلَّ مَن كان منهم يقوم بالدين فسأل ولياً يقوم به»[٢] .

وبـين عبدالله بن مسـلم هذا فقال : «زكريـا لم يرد يرثني مـالاً ، وأي مال كان لزكريـا فيضن به عن عصبته حتى يسـأل الله أن يهب له ولداً يرثه ، لقد جَلَّ هـذا المال إذاً وعَظُم عنده ، ونافس عليه منافسـة أبناء الدنيـا الذين لها يعملون وللـمال يكدحون ، وإنـما كان زكريا بـن آذر نجاراً وكان حـبراً» . كذلك قال وهب بن منبه[٣] .

وكلا هذيـن الأمرين يدل على أنه لا مال له ، والذين قالوا : يرثني مالي رووا عن رسـول الله ﷺ : أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال : «رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثتـه»[٤] . وهذا لا يدل على أنه فسر الآية بوارث الوالي وإنما أراد ﷺ : وما

= صدقـة» ٣/ ١٣٧٩ ، والترمـذي في جامعهفي كتاب السـير ، باب ما جاء في تركة رسـول الله ﷺ ٤/ ١٣٥ ، وقال : «حديث صحيح» ، وأخرجه النسـائي ، كتاب قسم الفيء ٧/ ٩٥ ، والإمام أحمد في مسنده ١/ ٤ .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٩ ، ومختصر ابن خالويه ٨٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥ ، والمحتسب ٢/ ٣٧ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٩ .

(٣) لم أقف على هذا القول ، ولكن له شواهد ؛ فقد صحَّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «كان زكريا نجاراً» . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل زكريا عليه السلام ٤/ ١٨٤٧ ، وابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب الصناعات ٢/ ٧٢٧ ، وأحمد ٢/ ٢٩٦ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١١٤ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٦/ ٣٧ بسنده عن قتادة ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١ ب ، والماوردي في النكت ٣/ ٣٥٦ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١١/ ١٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٦٧ ، وعزاه لعبدالـرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٤ ، وقال : «وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح ، والله أعلم» .

كان عليه من وراثة النبوة والعلم ، كأنه يقول : لو لم يسأل الله ولداً يرثه علمه ونبوته ما كان الله ليضيع دينه ، وكان يرث ما كان يقوم به من أمر الدين غير ولده .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ .أكثر الناس على أن هذا يعقوب بن إسحاق ، وكان زكريا من سبط يهوذا بن يعقوب[١] .

وقال الكلبي : «هو يعقوب بن ماتان ، رؤوس بني إسرائيل وبنو ملوكهم ، وكان آل يعقوب أخوال ولده ؛ لأن امرأة زكريا حنة أخت مريم بنت عمران بن ماتان»[٢] .

قوله تعالى : ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ .الرضيّ بمعنى المرضي ، قال ابن عباس : «يريد يكون عبداً مرضياً في الصلاح والعفاف والنبوة»[٣] .

٧. وقوله تعالى : ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾ . فيه إضمار والمعنى : استجاب الله دعاءه فقال : ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ .وذكرنا في سورة آل عمران هذه القصة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ . قال ابن عباس في رواية عكرمة : «لم يُسَمِّ أحد قبله يحيى»[٥] . وهذا قول قتادة ، والكلبي ، وابن جريج ، والسُّدِّي ،

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٢ .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٥٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٦٢ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢ أ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٨٥ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران :٣٩] .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٦٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٨ ، وتفسير ابن عباس ٢/ ٥٩٩ .

وابن زيد ، واختيار القتبي[١] . وعلى هـذا ، فالفضيلة تثبت ليحيى من حيث إن الله -تعالى- تولى تسميته باسم لم يسبق به ، ولم يكل تسميته إلى الأبوين فكان ذلك تفضيلاً له من هذا الوجه . قال الزجَّاج : «قيل : سـمي يحيى ؛ لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها»[٢] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ يريد : «لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبه»[٣] .

وقال في رواية الوالبي : «لم تلد العواقر مثله ولداً»[٤] . وهذا قول سعيد بن جبير : ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال : «عدلاً»[٥] . وقال مجاهد : «مثلاً»[٦] .

وعلى هذا القول ، فالمراد بالسمي : المثل والنظير كقوله : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم :٦٥] ؛ أي مثلاً وعدلاً ، ولم يكن ليحيى مثل من البشر من حيث إنه لم يعصِ ولم يهم بمعصية قط .

---

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٦ ، وجامع البيان ١٦/ ٥٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٩ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٠ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٤٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢١١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٤٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٠ .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٦٨ ، وقال : «شبيهاً» ، والكشف والبيان ٣/ ٣ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٤٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢١١ .

٨. وقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ .مضى الكلام في معنى هذا الاستفهام في سورة آل عمران[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ . قال كثير من الناس : «كَانَت» هاهنا زيادة[٢] ، والمعنى : وامرأتي عاقراً ، كما قال في موضع آخر : ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران :٤٠] . قال ابن الأنباري : ««كَانَت» هاهنا ماضٍ ، معناه الحال كأنه قال : وكائنة امرأتي في الحال ، فصلح وضع الماضي في وضع الدائم ؛ لأن المعنى مفهوم غير ملتبس ، كقوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء :٩٦] ، و﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء :١١] . المعنى : وكائن الله غفوراً أبداً . قال : وفي المسألة جواب ثالث : وهو أنه لمَّا بشر بالولد وقع في نفسه أنه يكون بزوال العقر عن زوجته فقال بعد وقوع هذا المعنى في نفسه ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ ؛ أي إلى هذا الوقت الذي لا أدري أزال العقر عنها أم لا ؟ قال : وهذا جواب جيد صحيح»[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ . قال أبو عبيد : «يقال للشيخ إذا ولى وكبر : عَتَا ، يَعْتُو ، عِتِيّاً»[٤] .

وقال أبو عبيدة : «كل مبالغ في شيء أو كفر فقد عَتَا ، عِتِيّاً ، فهو عَاتٍ»[٥] .

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران :٤٠] .

(٢) التعبير بلفظ الزيادة ، لا يصح القول به في القرآن الكريم ؛ فإن كل حرف منه ورد ليدل على معنى من المعاني ، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، والمنزل الحكيم -سبحانه- لا ينزل الشيء إلَّا لفائدة .

(٣) ذكر نحوه في المحرر الوجيز ٩/ ٤٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢١١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٨٤ .

(٤) تهذيب اللغة (عتا) ٣/ ٢٣١٣ ، ولسان العرب (عتا) ٥/ ٢٨٠٤ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢ .

وقال أبو إسحاق : «كل شيء انتهى فقد عَتَا يَعْتو عُتُوّاً وعِتياً»[١] .

وقال الفرَّاء : «يقال للشيخ إذا كبر عَتَا وعِتِياً»[٢] .

قال أهل المعاني : «يقال للذي غيره الزمان إلى حال اليبس والجفاف : هو عَاتٍ وعَاسٍ»[٣] .

وبهذا المعنى فسره مجاهد فقال : «هو نحول العظم»[٤] . وهو قول قتادة[٥] .

وقال ابن قتيبة : «﴿عِتِيًّا﴾ ؛ أي يبساً ، ومنه يقال : ملك عَاتٍ ، إذا كان قاسي القلب غير لين»[٦] .

وقال ابن عباس في معنى قوله : ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ : «لا أقدر على مجامعة النساء»[٧] . وهذا راجع إلى ما ذكرنا من معنى اليبوسة .

وروى عمرو بن ميمون : «أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ما العتي ؟ قال : اليبوس من الكبر»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٠ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٢ .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، ولسان العرب (عتا) ٥/ ٢٨٠٤ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢١١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٧ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٦ ، وجامع البيان ١٦/ ٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٠ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٢٧٢ .

(٧) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦/ ٧٨٠ ، وورد بلا نسبة في جامع البيان ١٦/ ٥٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٣أ .

(٨) ذكر بلا نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣١٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣أ .

وقرأ القرَّاء : (عُتِياً)بالضم ، و(عِتياً) بالكسر[١] . وكذلك : (صلياً) [مريم :٧٠] ، (بكياً) [مريم :٥٨] ، (جثياً) [مريم :٦٨] ، والأصل في هذا أن ما كان من فُعُول جمعاً من المعتل اللام ، فاللام إذا كانت واواً لزمه القلب على الاطراد إلى الياء ، ثم تقلب واو فُعول إلى الياء لإدغامها في الياء ، وتكسر عين الفعل كما كسرت في مرمي ونحوه ، وذلك نحو : حَقْو وحُقِي ، ودَلْو ودُلِي ، وعَصَا وعُصِي ، وصَفَا وصَفِي ، وكسر الفاء مطرد في هذا نحو : دِلِي ، وحِقِي ، وعِصِي ، وجاَز ذلك ؛ لأنها غيرت تغيرين وهما : أن الواو التي هي لام قلبت ، والواو التي كانت قبلها قلبت أيضاً ، فلمَّا غيرت تغيرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء هذا في الجمع ، فأمَّا ما كان من ذلك مصدراً فالقياس فيه أن يصح نحو : العُتْو والقُلُو ؛ لأن واوه لم يلزمها الانقلاب كما لزمها في الجمع ، ولكن لمَّا كانوا قد قلبوا الواو من هذا النحو وإن كان مفرداً نحو : مَرْمِي وقلبوا ما كان قبل الآخر بحرف كما قلبوا الآخر نحو : صيَّم ، وكان هذا على وزنه غير أيضاً تغيرين كما غيروا في الجمع ثم أجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه ، ويروى أن في حرف عبدالله : (ظلماً وعلياً) [النمل :١٤] في علو[٢] . وقال الله تعالى : ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾ [الفرقان :٢١] وقال في موضع آخر : ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم :٦٩] يعني هاهنا كالذي في هذه الآية . وقد ذكرنا في هذا النحو في قوله تعالى : ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا﴾ [الأعراف :١٤٨] .

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر (عُتياً) بالضم ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿عِتِيًّا﴾ بالكسر . انظر : السبعة ٤٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٢ ، والتبصرة ٢٥٥ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١١ ، والدر المصون ٧/ ٥٦٩ .

٩. قوله تعالى : ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ . قال الزجَّاج : «أي الأمر كما قيل لك»[١] .
وقال مقاتل بن سليمان : «﴿كَذَٰلِكَ﴾ بمعنى : هكذا»[٢] .

قال ابن الأنباري : «وعلى هذا القول ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ بجملته في موضع نصب ، ولا يقضي على الكاف بانفراد مما بعدها»[٣] .

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ . قال الفرَّاء : «أي خلقه عليَّ هين»[٤] .

قال ابن عباس : «يريد : أردَّ عليك قوَّتك حتى تقوى على الجماع ، وأفتق رحم امرأتك بالولد»[٥] .

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ يحيى . قُرئ : خلقناك[٦] ، لكثرة ما جاء من[٧] لفظ الخلق مضاف إلى لفظ الجمع كقوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الحجر :٢٦] ، في مواضع . وقوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف :١١] ، ولغة الجمع قد جاء بعد لفظ الإفراد كقوله : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء :١] ، ثم قال : ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الإسراء :٢] . واختار أبو عبيد التاء[٨] ؛ لأنها تشاكل الياء في :﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢١ .
(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٣٢ .
(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤٠٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٥ ، والدر المصون ٧/ ٥٧١ .
(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٦٢ .
(٥) مجمع البيان ٥/ ٧٨٠ ، وروح البيان ٥/ ٣١٧ .
(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿خَلَقْتُكَ﴾ بالتاء من غير ألف ، وقرأ حمزة ، والكسائي (خلقناك) بالنون والألف . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥ ، والتبصرة ٢٥٥ ، والنشر ٢/ ٣١٧ .
(٧) قوله : (من لفظ الخلق مضاف إلى) : ساقط من نسخة (س) .
(٨) ذكره بلا نسبة الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥ .

وقال أحمد بن يحيى[١] : «الاختيار النون والألف ؛ لأن فيه زيادة حرف وبكل حرف عشر حسنات»[٢] . والقراءة غير مخالفة خط المصحف ؛ لأنهم يسقطون الألف من الهجاء في مثل هذا البناء ؛ ولأن فيه الفخامة والتعظيم لاسم الله عز وجل ، وله المثل الأعلى .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ .يريد أنه كان عدماً فأوجده بقدرته ، وفي هذا رد على القدرية في تسميتهم المعدوم شيئاً[٣] . والله -تعالى-يقول لزكريا حين كان معدوماً : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ . قال الزجَّاج : «أي فخلق الولد لك كخلقك»[٤] .

١٠. قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ قال قتادة : «سأل نبي الله آية على حمل امرأته بعدما شافهته الملائكة بالبشارة مشافهة»[٥] .

قال ابن الأنباري : «وفي سؤاله الآية وجوه :

أحدها : أن التماسه الآية كان على معنى المزيد من الله ، والتكرمة من الله بإعطائه الآية ، ليتم نعمة إلى نعمة ، وكلتاهما يد من الله -عز وجل- عنده .

---

(١) هو ثعلب ، تقدمت ترجمته .

(٢) لم أقف عليه ، ويشهد له ما صح من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» .

(٣) قال القاضي علي بن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١١٧ : «أهل السُّنة عندهم أن الله على كل شيء قدير ، وكل ممكن فهو مندرج في هذا ، وهذا الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة ، وأن المعدوم ليس بشيء في الخارج ، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ، ويكتبه ، وقد يذكره ويخبر به فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب لا في الخارج ، قال تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ ؛ أي لم تكن شيئاً في الخارج ، وإن كان شيئاً في علمه تعالى» . وانظر : أضواء البيان ٤/ ٢١٧ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٥٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٧ .

والثاني : [أنه لما بشر بالولد كان على يقين منه ، غير أنه تاق إلى سرعة الأمر فسأل الله آية يستدل بها على قرب ما مَنَّ به عليه][(١)] .

والثالث : أنه لَمَّا بشر بالولد غلب عليه طبع البشرية ، فسأل الآية ليزداد بها يقيناً وإيماناً ، فعاقبه الله بأن حبس لسانه ثلاث ليال حين احتاج إلى مشافهة الملائكة بالبشارة إلى علامة تدل على صحة ما وعد به»[(٢)] . وإلى هذا ذهب الكلبي ، ومقاتل[(٣)] ، وقتادة ، قال[(٤)] قتادة : «قوله : ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ حبس لسانه عقوبة لَمَّا سأل الله الآية بعد ما شافهته الملائكة بالبشارة ، وكان لا يفيض بكلمة إنما يومئ إيماء»[(٥)] . ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ ؛ أي قال الله :علامتك على خلق الولد لذلك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ ، أي تمنع الكلام فلا تقدر عليه ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ صحيحاً من غير ما بأس ولا خرس . قال مجاهد : «أي لا يمنعك مرض»[(٦)] . و﴿سَوِيًّا﴾ منصوب على الحال . قال ابن الأنباري : «ويجوز أن يكون ﴿سَوِيًّا﴾ نعت مصدر محذوف على معنى أن لا يكلم الناس تكليماً سوياً ، يصحح هذا أنه كان يشير في الليالي الثلاث ، ولا يتكلم تكلماً صحيحاً»[(٧)] .

١١. قوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ . قال ابن زيد : «من مصلاه»[(٨)] .

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٥٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٧ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٨٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٣٢ .

(٤) قوله : (قال) :ساقط من نسخة (س) .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٥٢ ، وذكره الهواري في تفسيره ٣/ ٧ من دون نسبة ، والدر المنثور ٢/ ١٩٢ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٩ .

(٧) ذكر نحوه بلا نسبة في التفسير الكبير ٢١/ ١٩٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٦ ، والدر المصون ٧/ ٥٧٣ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ٥٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٩ .

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ .قال ابن عباس : «يريد أشار إليهم»[١] ، وهو قول القرظي[٢] ، وقال قتادة : «أومأ إليهم»[٣] ، وقال مجاهد : «كتب إليهم في الأرض»[٤] . وهو قول الحكم ، وإبراهيم[٥] . ويدل على صحة الإشارة قوله : ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران :٤١] .﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ومعنى أمره إياهم بالصلاة ما ذكره سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «كان يأمرهم بالصلاة بكرةً وعشياً»[٦] . والمعنى أنه كان يخرج على قومه بكرةً وعشياً فيأمرهم بالصلاة . فلمَّا كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج عليهم فأمرهم بالصلاة .

١٢. وقوله تعالى : ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى فوهبنا له وقلنا : ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾»[٧] . قال ابن عباس : «التوراة بقوة»[٨] . قال مجاهد : «بجد»[٩] . وقال ابن عباس : «بقوة منك أعطيتكها وقويتك على حفظها والعمل بما فيها»[١٠] .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٥٣ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٨ .

(٢) روح المعاني ١٦/ ٧١ ، وفتح القدير ٣/ ٢٦٤ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٦ ، وجامع البيان ١٦/ ٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، وروح المعاني ١٦/ ٧١ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٩ .

(٦) روح المعاني ١٦/ ٧١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٩ ، وتنوير المقباس ٢٥٤ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢١ .

(٨) النكت والعيون ٣/ ٣٥٩ ، وتنوير المقباس ٢٥٤ .

(٩) جامع البيان ١٦/ ٥٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٧٠ .

(١٠) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٤٣٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٩١ .

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ . قال : «يريد النبوة في صباه وهو ابن ثلاث سنين»[١] .

وقال مجاهد : «الحكم والفهم هو أنه أعطي فهماً لكتاب الله حتى حصل له عظيم الفائدة»[٢] .

وقال معمر : «هو أن الصبيان قالوا له : اذهب بنا نلعب . فقال ما للعب خلقت»[٣] .

وقال الحسن : «﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ : اللب»[٤] . والحكم عند العرب : ما يمنع من الجهل والخطأ ويصرف عنهما[٥] .

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ .الحنان معناه في اللغة : العطف والرحمة . يقال : حنانك وحنانيك يذكره الرحمة والبر ، ومنه قول الشاعر[٦] :

حَنَانَيْكَ بَعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢١٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤٧٠ ، ونسبه إلى قتادة .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢١٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٧٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٦٦ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٦ ، وجامع البيان ١٦/ ٥٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣٦ .

(٤) زاد المسير ٥/ ٢١٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (حكم) ١/ ٨٨٥ ، ومقاييس اللغة (حكم) ٢/ ٩١ ، والصحاح (حكم) ٥/ ١٩٠١ ، ولسان العرب (حكم) ٢/ ٩٥١ .

(٦) هذا عجز بيت لطرفة بن العبد ، وصدره :

أبا منذرٍ أفنيْتَ فاستبْقِ بعضَنا

انظر : ديوانه ٦٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢ ، والكتاب لسيبويه ١/ ٣٤٨ ، وهمع الهوامع ١/ ١٩٠ ، والدر المصون ٧/ ٥٧٥ ، ولسان العرب (حنن) ٢/ ١٠٣٠ ، وجمهرة أشعار العرب ٣/ ٤٤٩ .

ويقال : حَنَّ عليه ؛ أي عطف عليه ، وحَنَّ إليه ؛ أي نزع إليه[١] ، ونحو هذا قال المفسرون في معنى الحَنَان ، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يقول : «رحمة من عندنا»[٢] . وهو قول عكرمة ، وقتادة ، والربيع[٣] .

وقوله تعالى :﴿وَزَكَوٰةً﴾ .قال ابن عباس : «يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص»[٤] .

وقال قتادة : «هي العمل الصالح»[٥] . وهو قول الضحاك وابن جريج[٦] . ومعنى الآية : وآتيناه رحمة من عندنا وتحنناً على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملاً صالحاً في إخلاص ، فعلى هذا الموصوف بالحنان والزكاة يحيى ؛ لأن الله آتاه إياهما .

وقال ابن عباس في رواية عكرمة : «لا أدري ما الحنان ؟ غير أني أظنه يعطف الله على عبده»[٧] . ونحو هذا قال مجاهد في تفسير :﴿وَحَنَانًا﴾ : «تعطفاً من ربه على يحيى»[٨] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (حن) ١/ ٩٤٥ ، والقاموس المحيط (الحنين) ١١٨٨ ، والصحاح (حنن) ٥/ ٢١٠٤ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٥٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٧١ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٥٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٤ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٤ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٥٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٥٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٧١ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ٥٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٤ .

وقال أبو إسحاق في تفسير ﴿وَزَكَوٰةً﴾ : «الزكاة التطهير»[١] . وعلى هذا ، معنى الآية : وآتينا يحيى تعطفاً منا عليه ، وتطهيراً إياه من عندنا ، والموصوف بالحنان والزكاة هو الله تعالى ، على هذا القول ؛ لأنه ذو الرحمة على يحيى والمطهر له .

وقال قوم : الحنان والزكاة يعودان إلى زكريا ، وهو قول الكلبي والفرَّاء . قال الفرَّاء : «وفعلنا ذلك رحمة لأبويك»[٢] . وقال الكلبي في قوله : ﴿وَزَكَوٰةً﴾ : «يعني : صدقة تصدق الله بها على أبويه»[٣] . وعلى هذا ، القول يحتاج إلى إضمار كما ذكره الفرَّاء ويكون التقدير : وفعلنا ذلك -يعني هبة الولد واستجابة الدعاء- حناناً من لدنا ؛ أي رحمة منا على زكريا ، وزكاة ، وصدقة منا عليه[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ .قال ابن عباس : «جعلته يتقيني ولا يعدل بي غيري»[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٢ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٣ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ .

(٤) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٢٩ : «والتحقيق فيه - إن شاء الله - هو أن المعنى : وأعطيناه زكاة ؛ أي طهارة من الذنوب والمعاصي بتوفيقنا إياه للعمل بما يرضي الله تعالى» . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٨ .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢١٤ .

قال المفسرون : «وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها»[١] . كما قال رسول الله ﷺ : «ما من الناس عبد إلَّا قد هم بخطيئة أو عملها غير يحيى بن زكريا»[٢] .

١٤. قوله تعالى : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ . البَرُّ بمعنى البار ، كالصب والطب ، فعل بمعنى فاعل ، والمعنى لطيفاً بهما محسناً إليهما[٣] . ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ . قال الكلبي : «هو الذي يقتل على الغضب ويضرب على الغضب»[٤] . ﴿عَصِيًّا﴾ ؛ عاصياً . قال ابن عباس : «يريد لا يرتكب لي معصية»[٥] .

١٥. قوله تعالى : ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «سلام مما يبتدأ به في النكره ؛ لأنه اسم يكثر استعماله تقول : سلام عليك ، والسلام عليك ، وأسماء الأجناس يبدأ بها ؛ لأن فائدة نكرتها قريب

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٥٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٣٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٨ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٦/ ٥٨ ، والصنعاني في تفسيره ٢/ ٧ ، والإمام أحمد في مسنده ١/ ٢١٥ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٦ بروايات مختلفة وضعَّفها جميعاً . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٢٦ : «والظاهر أنه لم يثبت شيء من ذلك مرفوعاً : إمَّا بانقطاع ، وإمَّا بعنعنة مدلس ، وإمَّا بضعف راوٍ كما أشار له ابن كثير وغيره» . وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على عبدالله بن عمرو بن العاص : ١١/ ٥٦١ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٧٣ ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٧١ ، وعزاه إلى أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (بر) ١/ ٣٠٨ ، ومقاييس اللغة (بر) ١/ ١٧٧ ، والقاموس المحيط (البر) ١/ ٣٤٨ ، والصحاح (برر) ٢/ ٥٨٨ ، ولسان العرب (برر) ١/ ٢٥٢ . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٢٩ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٣ ب ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ١٢٢ من دون نسبة .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢ ب ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٣ .

مـــن فائدة معرفتها تقول : لبيك وخير بين يديك ، وإن شـــئت قلت : والخير بين يديك»[١] .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد سلام عليه مني في هذه الأيام»[٢] .

وقال الكلبي : «سلامة له منا»[٣] . وقال سفيان بن عيينه : «أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم ولد فيرى نفســه خارجاً مما كان ، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم وأحكاماً ليس له بها عهد ، ويوم يبعث فيرى نفســه في محشر لم يره ، فخص الله فيها بالكرامة يحيى بن زكريا فســلم عليه بالمواطن الثلاثة»[٤] . فقال : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ الآية .

قــال ابن الأنباري : «لم يقصد باليوم قصد يــوم واحد ؛ لأنه يجوز أن يموت بالليــل ، وأن لا يولد نهــاراً ، ولكن اليــوم يقع على الزمان الذي يشــتمل على الساعات والليالي»[٥] .

وتلخيص معنى الآية : ويســلم عليه في زمان مولده ، وكذلك ما بعده . وقد قال الكلبي عن ابن عباس : «وسلم عليه حين ولد»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٩ .

(٢) ذكرت كتب التفســير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٥٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٥ ، وتفســير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٠ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣ ب .

(٤) جامع البيــان ١٦/ ٥٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، وتفســير القرآن العظيم ٣/ ١٢٧ ، وزاد المســير ٥/ ٢١٥ .

(٥) ذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (يوم) ٤/ ٣٩٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢١٥ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٣ ب .

١٦. قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ .قال ابن عباس : «يعني واذكر يا محمد ، من أمر مريم لأهل مكة»[١] . ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ ؛ قال الكلبي والزجَّاج : «تَنحَّت»[٢] . وأصله من النبذ ، وهو طرحك الشيء ورميك به . يقال : نبذْتُه ناحية فانتبذ ، وجلس فلان نَبْذَةً ونُبْذَةً ؛ أي ناحية ، وانْتَبَذَ فلان ناحية ؛ أي تنحى ناحية[٣] .

وقال قتادة : «انفردت»[٤] . وقال ابن قتيبة : «اعتزلت»[٥] . والقولان معنى ، وليس بتفسير ، وتفسير ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ : تَنحَّت .

﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ : يعني ممن كانوا معها في الدار .﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ؛ إلى مكان في جانب الشرق . وقال ابن السكيت : «الشرق : الشمس ، والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس»[٦] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «إن مريم آذاها القمل[٧] في رأسها فتمنت أن تجد خلوة فتفلي رأسها ، فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة الشمس»[٨] .

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٥٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٠ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٠ . والأولى العموم ؛ فالذكر لأهل مكة ولغيرهم من أمة محمد ﷺ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٤ أ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (نبذ) ٤/ ٣٤٩٤ ، والصحاح (نبذ) ٢/ ٥٧١ ، والمعجم الوسيط (نبذ) ٢/ ٨٩٧ ، والمفردات في غريب القرآن (نبذ) ٤٨٠ ، ولسان العرب (نبذ) ٧/ ٤٣٢٢ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦١ ، والكشف والبيان ٣/ ٤ أ .

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٣ .

(٦) تهذيب اللغة (شرق) ٢/ ١٨٦٥ .

(٧) القمل : دواب صغار من جنس القردان إلاَّ أنها أصغر منها ، واحدتها قملة . انظر : تهذيب اللغة (قمل) ٩/ ١٨٦ ، والصحاح (قمل) ٥/ ١٨٠٥ ، ولسان العرب (قمل) ٦/ ٤٧٤٣ .

(٨) زاد المسير ٥/ ٢١٥ ، والكشاف ٢/ ٤٠٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٠ من دون نسبة .

وقال عكرمة : «إنها كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها ، ثم إنها أرادت الغسل من الحيض فتحولت إلى مشرقة دارهم للغسل»[١] . فذلك قوله : ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ . ونحو هذا قال الكلبي[٢] .

١٧. قوله : ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾ ؛ أي من دون أهلها لئلا يروها ﴿حِجَابًا﴾ ؛ ستراً حاجزاً . قال ابن عباس : «يريد جعلت الجبل بينها وبين الناس»[٣] . والحجاب : الجبل كقوله : ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص :٣٢] ، وهذا قول مقاتل[٤] . وقال السُّدِّي : «حجاباً من الجدران»[٥] . ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ . قال المفسرون : «بينما هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبريل - عليه السلام - في صورة شاب أمرد وضيء الوجه»[٦] .

فذلك قوله : ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ فتصور وتشبه ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ معتدلاً تامّاً .

١٨. قال ابن عباس : «فلما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد»[٧] بقوله : ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ ؛ أي مخلصاً مطيعاً» .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٤ أ .

(٢) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٤ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، والكشاف ٣/ ٥٠٥ ، وأنوار التنزيل ٤/ ٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٥ ، ومجمع البيان ٥/ ٧٨٤ ، وروح البيان ٥/ ٣٢١ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٤ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، والكشاف ٢/ ٥٠٦ ، ولباب التأويل ٤/ ١٤١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٩٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، وتفسير مقاتل ٢٣٢ ، والكشف والبيان ٣/ ٤ أ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٦٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٥ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، والكشاف ٢/ ٤٠٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٤ أ .

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٢٣ من دون نسبة .

قال أبو إسحاق : «تأويله إني أعوذ بالله منك ، فإن كنت تقياً فستتعظ بتعوذي بالله منك»[١] .

١٩. قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ هذا جواب جبريل - عليه السلام - لمريم ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ .اللام متعلقة بمعنى قوله : ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾ ؛ أي أرسلني ليهب لك . ومن قرأ : ﴿لِأَهَبَ﴾[٢] ، استند إلى المتكلم وهو جبريل والهبة لله سبحانه ، والرسول والوكيل قد يسندون هذا النحو إلى أنفسهم ، وإن كان الفعل للموكل والمرسل للعلم به ، وإن الرسول مترجم عنه[٣] .

وقوله تعالى : ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد نبياً»[٤] . وقال الكلبي : «يعني صالحاً»[٥] . وهو قول الضحاك[٦] .

وقيل : «طاهراً من الذنوب»[٧] . وقيل : «نامياً على الخير»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٣ .

(٢) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وقالون عن نافع ﴿لِأَهَبَ﴾ بالهمز ، وقرأ أبو عمرو البصري ، وورش عن نافع (ليهب) بغير همز . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥ ، والتبصرة ٢٥٦ ، والنشر ٢/ ٣١٧ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : مجمع البيان ٥/ ٧٨٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٩٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٧ ، وفتح القدير ٣/ ٤٦٨ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤١ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٧ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٠ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٦١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٧ ، وفتح القدير ٣/ ٤٦٨ .

(٨) زاد المسير ٥/ ٢١٨ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢١٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٧ .

٢٠. ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ؛ لم يقربني زوج ، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ؛ فاجرة زانية .

وقال ابن عباس : «تريد ليس لي زوج ، ولست بزانية ، وليس يكون الولد إلَّا من زوج أو من الزنا»[١] .

ويقال : بَغَت المرأة تبغي بَغْياً إذا فجرت ، وأصله : من البَغْي والذي هو الطلب وذلك أنهن يبغين بالفجور ، والعرب تسمي الإماء البَغَايا والواحدة منها : بَغِيٌّ ، ذكره ابن السكيت[٢] . وذلك أن العرب كانوا يأمرونهن بالمباغاة تكسباً بهن ، فكن يبغين الأجور ، فجرى هذا الاسم على الإماء . وبغيٌّ فعيل بمعنى ، فاعل ويكون منقولاً غير مبني على الفعل فلذلك لم تدخله الهاء ، وقد ذكرنا تمام هذا الفصل عند قوله : ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾[٣] .

وقال ابن الأنباري : «إن بغيَّ النساء أغلب عليه ، قَلَّ ما تقول العرب : رجل بغيَّ ، إنما يغلب عليهم امرأة بغي ، ورجل عاهر فاجر ، فلمَّا انفردت المرأة بالوصف استغنى عن إلحاق علامات التأنيث ، وجرى مجرى حائض وطالق»[٤] .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٤ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٩١ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بغي) ١/ ٣٦٧ ، ومقاييس اللغة (بغي) ١/ ٢٧٢ ، والمفردات في غريب القرآن (بغي) ٥٥ ، ولسان العرب (بغا) ١/ ٣٢١ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة :٣] .

(٤) الكشاف ٢/ ٤٠٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٨ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٨ ، والدر المصون ٧/ ٥٧٨ .

وقال المازني : «بغيَّ[١] ليس بفعيل إنما هو فعول ، الأصل بغوي ، فلمَّا التقت واو وياء وسبق أحدهما بالسكون أدغمت الواو في الياء فقيل : بغي ، كما تقول : امرأة صبور بغير هاء ؛ لأنها بمعنى صابرة»[٢] .

٢١. قوله تعالى : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ مفسر في هذه السورة[٣] . ومعنى الهين : المتأتي من غير مشقة ، والهين من باب الصيب والميت[٤] .

قال ابن عباس : «يريد يسير أن أهب لك غلاماً من غير فحل»[٥] . ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ . قال : «يريد عجيبة للناس»[٦] . كونه غلاماً ليس له أب . ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّآ﴾ ؛ لمَن تبعه وصدق به .

وقوله تعالى : [﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ عطف جملة على جملة ، واللام متعلق بمحذوف تقديره][٧] : ولنجعله آية للناس ، ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ خلقناه . وقال ابن الأنباري : «هو معطوف على مضمر محذوف التقدير : هو عليَّ هين لننفعك

---

(١) في (س) : (يعني) ، وهو تصحيف .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة الكشاف ٢/ ٤٠٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٤ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٨ ، والممتع ١/ ٥٤٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٧٨ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم :٩] .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (هَيَنَ) ٤/ ٣٦٩٨ ، والقاموس المحيط (هَيَنَ) ١٢٤٠ ، والمفردات في غريب القرآن (هَيَنَ) ٥٤٧ .

(٥) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٨ ، ومجمع البيان ٥/ ٧٨٩ ، ومدارك التنزيل ٢/ ٩٧٥ ، وروح البيان ٥/ ٣٢٣ .

(٦) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩١ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

به ولنجعله ، فحـذف الكلام الأول اختصاراً ودل الثاني عليه»[١] . ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ؛ أي كان خلقه أمراً محكوماً به مفروغاً منه سابقاً في علم الله أن يقع .

٢٢. قوله تعالى : ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ مختصر ، والمعنى : فنفخ فيها جبريل فحملته . وحذف ذلـك ؛ لأن النفخ قد بين في غير هـذا الموضع ، والقرآن كله كتـاب واحـد[٢] . قال ابن عبـاس : «دنا منها جبريـل ، فأخذ ردن قميصها ، فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها بعيسى ، ووجدت حس الحمل»[٣] . فذلك قوله : ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ .

وقوله تعـالى : ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ؛ أي تَنحَّـت بالحمل إلى مكان بعيد . قـال ابن عباس : «يريد أقصى الوادي»[٤] . وهـو وادي بيت لحم[٥][٦] . وهذا الانتبـاذ إنما كان عند وضعهـا ، فراراً من زكريا ومـن قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج .

---

(١) ذكر نحوه بلا نسـبة في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٠٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨١ ، والدر المصون ٧/ ٥٧٩ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم :١٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء :٩١] .

(٣) جامع البيـان ١٦/ ٦٢ ، والكشـاف ٢/ ٤٠٨ ، وزاد المسـير ٥/ ٢١٨ ، والجامع لأحـكام القرآن ١١/ ٩١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٧٨ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢ .

(٥) بيت لحم (بالفتح ، وسـكون الحاء) : قرية قرب بيت المقدس ، عامرة حافلة ، وهي مهد عيسى عليه السلام ، ومن قرى فلسطين . انظر : معجم البلدان ١/ ٥٢١ .

(٦) المحرر الوجيز ٩/ ٤٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٤٠ .

قال ابن عباس : «ما هو إلَّا أن حملت فوضعت»[(١)] . وعلى هذا دل ظاهر قوله : ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾ ، ذكر الانتباذ عقب الحمل ، والانتباذ إنما كان عند الوضع[(٢)] . والقَصيُّ فَعِيْل بمعنى فَاعِل من قَصَى يَقْصُو إذا بعد[(٣)] ، قال الراجز[(٤)] :

لَـيَقْـعُـدنَّ مَـقْـعَـدَ الـقَـصِي مِنِّـي ذَي القَـاذُورةِ المَقْـلي

٢٣. قوله تعالى : ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ ؛ أي ألجأها واضطرها ، يقال : جاء بها وأجاءها بمعنى . هذا قول جميع أهل اللغة[(٥)] ، وأنشدوا لزهير[(٦)] :

أجاءَتْهُ المَخَافَـةُ والرَّجَـاءُ

---

(١) بحـر العلوم ٢/ ٣٢١ ، ومعـالم التنزيل ٥/ ٢٢٤ ، والكشـاف ٢/ ٤٠٨ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١١٩ ، قال : «وهذا غريب» ، والدر المنثور ٤/ ٤٧٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٨ .

(٢) هذا خلاف قول الجمهور . قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٩ : «فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر . . . والفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه» . وقال ابن عطية في تفسيره ٩/ ٤٤٥ : «وظاهر قولـه : ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ يقتضي أنها كانت على عرف النسـاء ، وتظاهرت الروايات على ذلك» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٤٤ : «وأظهر الأقوال أنه حمل كعادة حمل النساء وإن كان منشؤه خارقاً للعادة» .

(٣) انظر : تهذيـب اللغة (قصا) ٣/ ٢٩٦٩ ، ومقاييس اللغة (قصوى) ٥/ ٩٤ ، ولسـان العرب (قصا) ٦/ ٣٦٥٧ ، والمفردات في غريب القرآن (قصى) ٤٠٥ .

(٤) ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسـبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٠ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٣٤ ، ولسان العرب (ذا) ٣/ ١٤٧٢ .

(٥) معـاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٤ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٤ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٢ ، والمحتسب ٢/ ٣٩ ، وغريب القرآن لابن الملقن ٢٣٩ .

(٦) هذا عجز بيت لزهير ، وصدره :

وَجَارٍ سارَ مُعْتَمِداً إليكُمْ

انظـر : ديوانه ١٣ ، ومعاني القـرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٤ ، والمحرر الوجيـز ٩/ ٤٤٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٢ ، والدر المصون ٧/ ٥٨١ ، ولسان العرب (جيأ) ٢/ ٧٣٦ .

قالوا : والعرب تقول في أمثالها : شر مَـا أَلجَأكَ إلى مُخَّةِ عُرْقُوب[١] . يريدون اضطرك وألجأك إليها . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسُّـدي في تفسـير أجاءها : «ألجأهـا»[٢] . والمخاض : وجع الولادة وهو الطلـق ، ومَخِضَتِ المرآة تَمْخَـضُ مَخَاضاً ، وناقة مَاخِضٌ وشـاة مَاخِضٌ إذا دنا ولادتهـا[٣] ، ويقال أيضاً دجاجة مَاخِضٌ إذا قربت أن تبيض ، ومنه قول الراجز[٤] :

تُنْقِضُ انْقضَاضَ الدَّجَاجِ المُخَّضِ

والمخاض من الإبل : الحوامل ، سميت مخاضاً تفاؤلاً بأنها تَمْخِضُ بالولد إذا أنجبت[٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ .الجذع : سـاق النخـل ، قال ابن عباس : «نظرت مريم إلى أكمة[٦] فصعدت مسرعة ، فإذا على الأكمة جذع نحو جذع نخلة فأسرعت المشيء حتى سارت إلى الجذع»[٧] . فذلك قوله : ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ

---

(١) المعنـى أن العرقوب لا مخ له ، وإنما يلجأ إليه مَن لا يقـدر على شيء . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٤ ، ولسان العرب (مخ) ٧/ ٤١٥٥ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٦٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨١ .

(٣) في (ص) : (ولادها) .

(٤) هذا عجز البيت ، وصدره :

وَمَسدٍ فَوْقَ محالٍ نُغَّيضِ

ذكر البيت الأزهري في تهذيب اللغة (مخض) ٤/ ٣٣٥٨ من دون نسبة ، وكذلك لسان العرب (مخض) ٧/ ٤١٥٣ .

(٥) انظر : تهذيـب اللغة (مخـض) ٤/ ٣٣٥٨ ، ومقاييس اللغة (مخـض) ٥/ ٣٠٤ ، والقاموس المحيط (مخض) ٢/ ٦٥٣ ، ولسان العرب (مخض) ٧/ ٤١٥٣ .

(٦) الأكمة : الموضع الذي هو أشـد ارتفاعاً مما حوله ، وهـو دون الجبال ، ومثل الروابي . انظر : تهذيب اللغة (أكم) ١/ ١٧٧ ، والصحاح (أكم) ٥/ ١٨٦٢ ، ولسان العرب (أكم) ١/ ١٠٣ .

(٧) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشاف ٢/ ٥٠٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٠ ، ومجمع البيان ٥/ ٥٩٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٨١ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٢ .

﴿جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ قال المفسرون : «وكان جذع نخلة يابسة ليس لها سعف»[١] . ولهذا قال الله تعالى : ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ ، ولم يقل إلى النخلة ؛ لأنها لم يبقَ منها إلَّا الجذع .

وقوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ .قال السُّدِّي : [«قالت في حال الطلق : يا ليتني مت قبل هذا ، استحياء من الناس»[٢] . وقيل :][٣] «إنما قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة»[٤] . وقيل : «إنما جاز أن تتمنى الموت قبل تلك الحال التي قد علمت أنها من قضاء الله ، لكراهتها أن يعصي الله بسببها إذ كان الناس يتسرعون إلى القول في ذلك بما يسخط الله جل وعز»[٥] .

وقال أبو إسحاق : «معناه لو خيرت قبل هذه الحال بين الموت أو الدفع إلى هذه الحال لاختارت الموت»[٦] . ومعنى قوله :﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾ ؛ أي قبل هذا اليوم ، أو هذا الوقت ، أو هذا الأمر[٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ .قال أبو إسحاق : «النسي في كلام العرب الشيء المطروح لا يؤبه له»[٨] .

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢١ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٤٤٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، والكشاف ٢/ ١٠٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٢ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، والكشاف ٢/ ٤٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٤ .

(٧) زاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٢ ، وفتح القدير ٣/ ٤٦٩ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٤ .

قال الشنفرى[١][٢] :

كَـأَنَّ لَهَـا فِي الأرضِ نِسْياً تَقُصُّهُ عَـلى أُمِّهَـا وإِنْ تُكَلِمْـكَ تَبْلَتِ

يصف امرأة بالخفي[٣] . وقـال الأخفش ، وأبو عبيدة : «النسي ما أغفل من شيء حقير ، ونسي»[٤] .

وقال يونس : «العرب تقول إذا ارتحلوا من المنزل : انظروا أنساكم ؛ أي الشيء اليسير نحو : العصا ، والقدح ، والشِّظَاظ[٥]»[٦] . هذا معنى النسي في اللغة .

فأمَّا التفسير ، فقال ابن عباس : «نسياً : متروكاً لا يذكر»[٧] .

وهو قول قتادة[٨] .

---

(١) الشـنفرى بن مالك الأزدي ، والشنفرى اسمه ، وقيل لقب له لأنه غليظ الشفة ، واختلف في اسمه ، وهو شـاعر جاهلي فحل ، له أشعار في الفخر والحماسة وأشـهرها لاميته ، وهو من عدائي العرب . انظر : نزهة الألباء ١/ ٤٠٨ ، والأعلام ٥/ ٨٥ ، والخزانة ٣/ ٣٤٣ .

(٢) البيت للشـنفرى يصف امرأة كأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئاً ضاع منها . تبلت : انقطعت في كلامها فلا تطيله . انظر : معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٥ ، وشرح المفضليات ٢٠١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤ ، والحجة للقراء السـبعة ٥/ ١٩٦ ، ووضح البرهان في مشـكلات القرآن ٢/ ٤٦ ، والمخصص ١٢/ ٢٧ ، ولسان العرب (نسا) ٧/ ٤٤١٧ .

(٣) في (ص) : (بالخفر) .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤ ، وتهذيب اللغة (نسى) ٤/ ٣٥٦٥ .

(٥) الشِّظَاظُ : خُشَيْبَة عَقْفَاء محددة الطرف توضع في الجوالق أو بين الأونين يشد بها الوعاء . انظر : تهذيب اللغة (شظ) ٢/ ١٨٧٩ ، ولسان العرب (شظظ) ٢/ ١٨٧٩ ، ومختار الصحاح (شظظ) ٣٣٨ .

(٦) الكشاف ٢/ ٤٠٨ ، وتهذيب اللغة (نسي) ٤/ ٣٥٦٥ .

(٧) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٢٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨١ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ٦٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٩ .

وقال عكرمة ، والضحاك ، ومجاهد : «حيضة ملقاة»[١] .

والمنسي : المفعول ؛ من نسيت الشيء ضد ذكرته ، ويجوز أن يكون مفعولاً من نسيت بمعنى : تركت ، وهو هاهنا من صفة الشيء ، ومعناه المبالغة ؛ لأن النسي ، وإن كان حقيراً ، فقد يطلب ويذكر ، فهي تقول : يا ليتني[٢] كنت ذلك الشيء الذي لا يذكر ولا يطلب .

وقال السُّدِّي : «﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ ؛ أي نسي ذكري ، ومنسياً ؛ أي نسي أثري فلا يرى لي أثر ولا عين»[٣] .

وقُرئ : ﴿نَسْيًا﴾ بالفتح[٤] . قال الفرَّاء : «هما لغتان مثل : الجَسْر والجِسْر ، والحَجْر والحِجْر ، والوَتْر والوِتْر . والنسي : ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها وهو اللقَى»[٥] .

وقال أهل اللغة : «الكسر أعلى اللغتين»[٦] . ويجوز في غير هذا أن يكون النسي مصدراً كالنسيان كما يقال : العصي والعصيان ، والأتي والإتيان ، أنشد الفرَّاء[٧] :

مِنْ طَاعَةِ الرَّبِّ وعَصي الشَّيْطَان

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨١ .

(٢) في (س) : (بالشيء) ، وهو تصحيف .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٦٦ .

(٤) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (نِسياً) بكسر النون ، وقرأ حمزة ، وعاصم في رواية حفص ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النون . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٣ ، والنشر ٢/ ٣١٨ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٤ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٢ .

(٧) ذكره الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ١٦٥ بلا نسبة ، وكذلك الطبري في جامع البيان ١٦/ ٦٦ .

وأنشد[١][٢] :

أَتْيُ الفَـوَاحِـشِ فِيْـهِمُ مَـعْرُوفَةٌ وَيَـرَونَ فِعْـلَ المَكْرُمَـات حَرَاما

٢٤. قولـه تعـالى : ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ . قال ابن عباس : «سـمع جبريل كلامهـا ، وعـرف جزعهـا ، فناداها مـن تحتها أسـفل منها تحت الأكمة»[٣] : ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ . وهذا قول الضحاك ، والسُّدِّي ، وقتادة : «أن المنـادي كان جبريل ، ناداها من سـفح الجبل»[٤] . وقال مجاهد ، والحسن : «الذي ناداها عيسى»[٥] . وهو قول وهب ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد[٦] .

قال أبو إسـحاق : «ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين الله لها الآية في عيسى»[٧] .

---

(١) في (ص) : (وأنشد أيضاً) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٥ .

(٣) ذكـر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٦٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٠ .

(٤) تفسـير القرآن للصنعاني ٢/ ٧ ، وجامع البيـان ١٦/ ٦٧ ، ٦٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣١ .

(٥) تفسـير القرآن للصنعاني ٢/ ٦ ، وجامع البيان ١٦/ ٦٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٠ .

(٦) جامـع البيان ١٦/ ٦٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، وتفسـير القرآن العظيـم ٣/ ١٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٢ ، وهذا ما رجَّحه الطبري في تفسـيره ١٦/ ٦٨ . قال الشـنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٤٦ : «أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسـى ، وتدل على ذلك قرينتان ؛ الأولى : أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور . والقرينة الثانية : أنها لَمَّا جاءت به قومها تحمله ، وقالوا ، لها ما قالوا أشـارت إلى عيسـى ليكلموه ، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته» .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٥ .

وقال أبو علي : «وأن يكون المنادي لها عيسى أشبه وأشد إزالة لما خامرها من الوحشة والاغتمام لما يوجد به طعن عليها»[١] : ولهذا كان الاختيار قراءة مَن قرأ :(مَنْ تَحْتَهَا) بفتح الميم[٢] ، يعني به عيسى . وهو من وضع اللفظة العامة موضع الخاصة كما تقول : رأيت مَنْ عندك ، وأنت تعني أحداً بعينه[٣] .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد السري الجدول ، وكان ساقية للماء قبل ذلك ، ثم انقطع الماء منه ، فأرسل الله الماء فيه لمريم»[٤] .

وهذا قول عامة المفسرين[٥] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٧ .

(٢) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر (مَن تُحْتَها) بفتح الميم والتاء ، وقرأ نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ بكسر الميم والتاء . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٧ ، والنشر ٢/ ٣١٨ .

(٣) في (س) : (يعني) .

(٤) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٦٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٤ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٧ ، وجامع البيان ١٦/ ٦٩ ، ٧٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٥ ، والمحرر الوجيز ١١/ ٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢١ . وجمهور المفسرين على ذلك ، وهو ما رجَّحه ابن جرير الطبري في تفسيره : ١٦/ ٧١ ، وابن كثير ٣/ ١٢١ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٤٨ : «أظهر القولين عندي أن السري في الآية النهر الصغير ، والدليل على ذلك أمران أحدهما : القرينة من القرآن فقوله : ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به . الأمر الثاني : حديث جاء بذلك عن النبي ﷺ يقول فيه : «إن السري الذي قال الله لمريم : ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهر أخرجه الله لها لتشرب منه» . فهذا الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ ، وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف ، أقرب إلى الصواب من دعوى أن السري عيسى بغير دليل يجب الرجوع إليه» .

قال أبو إسحاق : «وروي عن الحسن أنه قال : «يعني عيسى عليه السلام ، كان والله سرياً من الرجال»[١] . فعرف الحسن أن من العرب مَن يسمي النهر سرياً[٢] . فرجع إلى هذا القول . ولا خلاف بين أهل اللغة أن السري : النهر بمنزلة الجدول»[٣] . وأنشد للبيد[٤] :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصدَّعَا مَسْجورَةً مُتَجَاوِزاً قُلامُهَا

ومعنى قوله : ﴿تَحْتَكِ﴾ قال الكلبي : «بحيال قدميك»[٥] . فجعل تحت هاهنا اسماً للجهة المحاذية للمتمكن ، وهذا يوافق قول مَن قال : «إن جبريل ضرب الأرض من تحت قدمها»[٦] . ويقال : «إن عيسى ضرب برجله فظهر عين ماء عذب وجرى»[٧] .

وقيل : «معنى قوله : ﴿تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ : لم يكن الجدول محاذياً لهذه الجهة ، ولكن المعنى جعله دونك ، وقد يقال : فلان تحتنا أي دوننا في المواضع» . قال ذلك أبو الحسن[٨] .

وقال بعض المفسرين : «معنى قوله : ﴿تَحْتَكِ﴾ أن الله -تعالى- جعل النهر تحت أمرها ، إن أمرته أن يجري جرى ، وإن أمرته بالإمساك أمسك لقوله - تعالى

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٧٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٢ .

(٢) السَّرِيُّ : الجدول ، وهو قول أهل اللغة جميعاً . انظر : تهذيب اللغة (سري) ٢/ ١٦٨٠ ، ولسان العرب (سرا) ٤/ ٢٠٠٢ ، والمفردات في غريب القرآن (سري) ٢٣١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٥ .

(٤) البيت للبيد ، وقد ورد في معلقته . عُرْضَ : الناحية . ومَسْجُورَة : عين مملوءة . والقُلام : نبت ينبت على الأنهار ، وقيل هو نوع من الحمض . انظر : ديوانه ١٧٠ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٧٦ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٥ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٤ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٦٤ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٤ أ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٠٥ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٣ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٧ .

- في ما أخبر عن فرعون : ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾[١] ؛ أي من تحت أمري»[٢] .

٢٥. قوله تعالى : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ﴾ .الهز معناه التحريك[٣] ، يقال : هَزَزْتُه فاهْتَزَّ ، ومعنى ﴿إِلَيْكِ﴾ اجذبيه إليك ؛ أي حركيه بأن تجذبيه إليك .

وقوله تعالى : ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ . قال الأخفش : «الباء زائدة»[٤] . وهي تزاد كثيراً في الكلام يقال : خذ بالزمام ، وتناول بالخطام ، ومد بالحبل ، وأعطني بيدك ، وأنشد :

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّثَّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالمَرْخِ والشَّبَهَانِ[٥]

ونحو هذا قال الفرَّاء ، قال : «والعرب تقول : هَزَّ بِه وَهَزَّه ، وقوله تعالى : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ [الحج :١٥] معناه فَلْيَمدُدْ سبباً»[٦] .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٥١ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٤ أ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٠٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٣ .

(٣) انظر : مقاييس اللغة (هز) ٦/ ٩ ، والقاموس المحيط (هز) ٥٢٩ ، والصحاح (هزز) ٣/ ٩٠١ ، والمفردات في غريب القرآن (هزز) ٥٤٢ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٦ . قال أبو السعود في تفسيره ٣/ ٥٧٩ : «الباء صلة للتوكيد» ، وقوله هذا أولى من القول بالزيادة ، وذلك أدباً مع القرآن الكريم ؛ فإن كل حرف ورد فيه يقصد به معنى من المعاني ، ولذلك قال ابن جرير -رحمه الله- في تفسيره ١٦/ ٧٣ : «تدخل الباء في الأفعال وتخرج ، فيكون دخولها وخروجها بمعنى ، فمعنى الكلام : وهزي إليك جذع النخلة» .

(٥) ورد البيت في عدد من الكتب ، ونسب إلى رجل من عبد القيس ، وقيل : إنه ليعلى الأحول .
الشَّث : الكثير من الشيء ، وهو ضرب من الشجر ، طيب الريح ، مرُّ الطعم . والشبهان : ضرب من الرياحين . انظر : مجاز القرآن ٢/ ٤٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٠ ، وأدب الكاتب ٤١٦ ، والجمهرة ١/ ٤٥ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٥ ، ولسان العرب (شبه) ٢١٩١ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٥ .

ويقال : ألقى بيده ، أي ألقى يده ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة :١٩٥] .

قال أبو علي : «ويحتمل أن يكون معنى ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ ؛ أي بهز جذع النخلة رطباً ، فحذف المضاف»[١] .

والمعنى : إذا هززت الجذع هززت بهزه رُطباً ، فإذا هززت الرُّطب سقط . وهذا على قول مَن ينصب الرُّطب بالهز ، وهو قول المُبِّرد ، حكى عنه الزجَّاج قال : «والمعنى هزي إليك بجذع النخلة رطباً تساقط عليك»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ ؛ أي تتساقط فأدغمت التاء في السين ، وتساقط هاهنا بمعني : تسقط ، وتفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فَعَّل ، وكما عُدِّي تفعل في : تجرعته ، وغليته ، وتَمَزَّزْته ، كذلك عُدِّي تفاعل ، فمما جاء من ذلك قول الشاعر :

تُطَالِعنا خَيَالاتٌ لِسَلْمَى كَمَا يَتَطَالعُ الدَّينَ الغَرِيمُ[٣]

ويكون المعنى : تسقط عليك النخلة رُطَباً جَنِياً ، وانتصب ﴿رُطَبًا﴾ على أنه مفعول به[٤] . وقرأ حمزة : تَسَاقَطْ ، مخففاً[٥] . حذف التاء التي أدغمها غيره ،

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٨ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٥ .

(٣) البيت لسلمة بن الخرشب الأنماري ، ويريد به أن خيال صاحبته يكثر معاودته ، كما يلح الدائن على المدين بكثرة ترداده عليه . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٩ ، والمحتسب ٢/ ٣٥٨ ، والمفضليات ٣٩ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٨ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٣ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٨ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي (تَسَّاقط) بفتح التاء وتشديد السين ، وقرأ حمزة (تَسَاقط) بفتح التاء وتخفيف السين . انظر : السبعة ٤٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٨ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٣ ، وحجة القراءات ٤٤٢ .

ويجوز أن يكون المعنى : (تساقط) عليك ثمرة النخلة رطباً ، فيكون انتصاب رطباً على الحال ، وجاز أن يضمر الثمرة وإن لم يجرِ لها ذكر ؛ لأن ذكر النخلة يدل عليها ، وعلى هذا الوجه ، تساقط مطاوع[١] ، وعلى قول الفرَّاء ، والزجَّاج[٢] انتصب ﴿رُطَبًا﴾ على التمييز والتفسير ؛ لأن الفعل نقل من الرطب إلى النخلة ، فلمَّا حول الفعل إليها خرج الرطب مفسراً كقولهم : تصبب عرقاً ، كذلك تساقطت النخلة رطباً[٣] .

وروى حفص عن عاصم : ﴿تُسَاقِطْ﴾ على وزن تفاعل[٤] ، وساقط بمعنى : أسقط ، قال يصف الثور والكلاب[٥] :

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِيَاتِهَا سِقَاطَ حَدِيدِ القَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلاَ

وقوله تعالى : ﴿رُطَبًا﴾ الرُّطَبُ : الناضج من البسر[٦] ، وقد أَرْطَبَتِ النخلة ، وأَرْطَبَ القوم إذا أَرْطَبَ نخلهم ، ورَطَّبْتَ القوم ؛ أطعمتهم رُطَباً . والجَنَى بمعنى المَجْنِي يقال : جَنَيْتُ الثمر ، وأَجْنَيْتُه ، وجَنَا الشجرة ما جُنِي منها[٧] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٠ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٦ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٥ .

(٣) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٣ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٨ .

(٤) قرأ حفص عن عاصم ﴿تُسَاقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخففة السين ، وقرأ أبو بكر عن عاصم (تَسَّاقط) بفتح التاء وتشديد السين . انظر : السبعة ٤٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ١٩٨ ، والعنوان في القراءات ١٢٦ ، والتبصرة ٢٥٦ .

(٥) البيت لضابئ البرجمي ، يصف الثور والكلاب . الروق : القرن ، أَخْوَل أَخْوَلا : متفرقاً . انظر : المحتسب ٢/ ٤١ ، والخصائص ٢/ ١٣٠ ، وتهذيب اللغة (خال) ١/ ٩٦٩ ، ولسان العرب (خول) ٣/ ١٢٩٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (رطب) ٢/ ١٤٢١ ، والصحاح (رطب) ١/ ١٣٦ ، ولسان العرب (رطب) ٣/ ١٦٦٤ ، والمفردات في غريب القرآن (رطب) ١٩٧ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (جنى) ١/ ٦٧٤ ، ومقاييس اللغة (جنى) ١/ ٤٨٢ ، والمفردات في غريب القرآن (جنى) ١٠١ ، ولسان العرب (جنى) ٢/ ٧٠٧ .

قال ابن عباس : «فعجبت مريم من قول جبريل حين قال لها : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وذلك أنه كان جذعاً نخراً ليس له سعف ، فلمَّا هزته نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع ، ثم نظرت إلى الطلع ، ثم خرج من بين السعف ، ثم نظرت إلى الطلع قد اخضرَّ فصار بلحاً ، ثم نظرت إلى البلح قد احمرَّ فصار زهواً ، ثم نظرت إلى البسر الأحمر قد صار رطباً ، كل ذلك طرفة عين قبل أن يرتد إليها طرفها ، فجعل الرطب يقع بين يديها في أقماعه ، ولا يتشدخ منها شيء ، فطابت نفسها»[١] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿فَكُلِي﴾ ؛ قال ابن عباس : «من الرطب ، ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من السري ، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ ؛ يريد بعيسى»[٢] . قال الكسائي : «قَرِرْتُ به عيناً أَقَرُّ ، قُرَّةً ، وقُرُوراً»[٣] .

وبعضهم يقول : قَرِرْتُ ، أَقَرُّ ، القُرَّةُ المصدر ، والقُرَّة كل شيء قَرَّتْ به عينك ، وأَقَرَّ الله عينه فَقَرَّت[٤] . قال الأصمعي : «أَقَرَّ مأخوذ من القُرُّ والقِرَّة ، وهما البرد ، ومعنى أَقَرَّ الله عينه أبرد الله دمعه ؛ لأن دمعة السرور باردة ، ودمعة الحزن حارة»[٥] .

قال المنذري : «وعرض هذا القول على أحمد بن يحيى فأنكره ، وقال : الدمع كله حار في فرح كان أو حزن»[٦] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٤ .

(٢) ذكر نحوه في معالم التنزيل ٥/ ٢٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٦ ، وتنوير المقباس ٢٥٥ .

(٣) تهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ .

(٤) تهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قرر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٦٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣١١ ، وتهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قرر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٦) تهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ .

وحكي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : «أَقَرَّ الله عينك ؛ سكن الله عينك بالنظر إلى ما تحب ؛ أي صادفت ما يرضيك فَتَقَر عينك من النظر إلى غيره . والعرب تقول للذي يدرك ثاره : وقعت بِقُرِّكَ ؛ أي صادف فؤادك ما كان متطلعاً إليه فَقَرَّ»[١] .

وقولهم : فلان قُرَّة عيني معناه : رضى نفسي ؛ أي ترضى نفسي وتَقر وتسكن بقربه مني ونظري إليه[٢] .

قال أبو عمرو الشيباني : «أقر الله عينه ؛ أنام الله عينه ، والمعنى صادف سروراً يذهب سهره فينام»[٣] ، وأنشد[٤] :

أَقَـرَّ بِه مَوَالِيْـكَ العُيُونَا

أي نامت عيونهم لَمَّا ظفروا بما أرادوا . وقال الفرَّاء : «﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ : جاء في التفسير : طيبي نفساً ، وإنما نصبت العين ؛ لأن الفعل كان لها ، فصيرته للمرأة ، فمعناه لتقر عينك ، فإذا حول الفعل عن صاحبه إلى ما قبله نُصب صاحب الفعل على التفسير ، كقوله تعالى : ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء :٤] ، معناه : فإن طابت أنفسهن ، ومثله : ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[٥] ، وسؤت به ظناً»[٦] .

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ومقاييس اللغة (قر) ٥/ ٧ ، والصحاح (قرر) ٢/ ٧٨٨ ، والمفردات في غريب القرآن (قر) ٣٩٧ ، ولسان العرب (قر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١١ ، وتهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قرر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٤) هذا عجز بيت ينسب إلى عمرو بن كلثوم ، وصدره :

بيومِ كريهةٍ ضرباً وطعناً

انظر : تهذيب اللغة (قرر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قرر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٥) سورة هود ، الآية ٧٧ ، وسورة العنكبوت ، الآية ٣٣ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٦ .

وقوله تعالى : ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ .تريــن كان في الأصل ترأيين فحذفت الهمزة كما حذفت من يرى وتــرى ، ونقلت فتحتها إلى الراء ، فصار ترين فلمَّا تحركت الياء الأولى وانفتــح ما قبلها صارت ألفاً ، فاجتمع ســاكنان أحدهما الألف المنقلبة في الياء والأخرى ياء التأنيث ، فحذفت الألف لالتقاء الســاكنين ، فصار (تَرَيْنَ) ، ثم حذفت النون علامة للجزم ؛ لأن قوله : إمَّا حرف شرط فبقي تري ، ثم دخلته نون التأكيد وهي منقلة فكسرت الياء -أعني ياء التأنيث- لالتقاء الســاكنين ؛ إذ النون المثقلة بمنزلة نونين الأولى منها ساكنة فصار تنوين[١] .

قال الزجَّاج : «وكذلك تقول للمرأة : اخشينَّ زيداً»[٢] . يعني أن ياء التأنيث تكسر لأجل نون التأكيــد ، وكذلك تقول : ألم تَرَيِ القــوم ، ولم تَخْشَيِ الرجل ، فتحرك بالكسر مع لام المعرفة ، وسائر السواكن كذلك حركتها مع النون الشديدة بالكسر ، ولم ترد اللام التي حذفتها لالتقاء الســاكنين لما حركت الســاكن الذي كنت حذفت الــلام لالتقائها معه ؛ لأن حركة التقاء الســاكن غير لازمة ، وهي في تقدير الســكون كما لم ترد في قولك : رَمَتِ ابنك ونحوه ، وإذا قلت للواحدة : تَرَيْــنَ كان إضافته على ضمير التأنيث وليســت لام الفعــل ؛ لأن لام الفعل قد حذفت لالتقاء الساكنين كما ذكرنا ، فإن خاطبت جماعة نساء قلت : كيف تَرَيْنَ ؟ فالياء لام الفعل ، وليست التي للضمير كما كانت[٣] في خطاب الواحدة ، ألا ترى أن قولــك : أَنْتُنَّ تَذْهَبْنَ ، تلي فيه الباء التي هي لام الفعل علامة الضمير للتأنيث وهي النون ، فقياس المعتل في هــذا قياس الصحيح ، ولذلك لو قلت للواحدة : كيف تَرَيْنَك ؟ كانت النون علامة للرفع ، والياء علامة الضمير ، ولو قلت لجماعة نســاء : كيف تَرَيْنَكُنَّ ؟ كانت النون علامة الضمير والياء لام الفعل ، فإذا ألحق الجــازم والناصب ترين ، وتأتين حذفت النــون للجزم والنصب ، ولو لحق فعل

(١) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٣ ، والدر المصون ٧/ ٥٩١ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٧ .

(٣) من قوله : (فأرسل الله الماء فيه لمريم . . .) إلى هنا ساقط من نسخة (س) .

الجميع لم تحذف النون كما لم تحذف في : لم تَضْرِبنَ . ذكر هذا كله أبو علي الفارسي في المسائل الحلبية[١] .

قوله تعالى : ﴿فَقُولِيٓ﴾ فيه اختصار ؛ لأن المعنى : فإمَّا ترين من البشر أحداً فسألك عن ولدك فقولي : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ ؛ قال ابن عباس : «صمتاً»[٢] . ومعنى الصوم في اللغة : الإمساك عن الأكل وعن الكلام[٣] . والمعنى أوجبت على نفسي لله - تعالى - أن لا أتكلم .

وقال قتادة : «صامت من الكلام ، والطعام ، والشراب»[٤] .

وعلى هذا معنى قوله : ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ هو الصوم المعروف الذي هو عبادة . قال السُّدِّي ، وابن زيد : «كان في بني إسرائيل مَن أراد أن يجتهد صام عن الكلام ، كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي»[٥] . ويدل على صحة هذا القول قوله : ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ؛ أي إني صائم فلا أكلم اليوم أحداً . ولو أريد بالصوم هاهنا الصمت فقط لم يحتج إلى قوله ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ﴾ . وأيضاً فإنه قال : ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ ، والصوم الذي هو لله إنما هو[٦] ترك الطعام لا ترك الكلام .

---

(١) المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي ٨٧ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٧٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (صام) ٢/ ١٩٦٤ ، ومقاييس اللغة (صوم) ٣/ ٣٢٣ ، والقاموس المحيط (صام) ١١٣١ ، والمفردات في غريب القرآن (صوم) ٢٩١ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٨ ، وجامع البيان ١٦/ ٧٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٣١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٥ .

(٦) قوله : (هو) : ساقط من نسخة (س) .

قال المفسرون : «كان قد أذن لها أن تقول : ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر»[١] .

وقال قوم : «كانت تقول هذا القدر إشارة بحيث يعرف أنها ممسكة عن الكلام»[٢] . وأمَّا سبب أمرها][٣] بترك الكلام فقال ابن مسعود ، وابن زيد ، ووهب : «أمرت بالصمت ؛ لأنها لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة في شأن ولدها ، فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ به ساحتها»[٤] . وقيل في قوله : ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ : خصت الإنس ؛ لأنها كانت تكلم الملائكة[٥] .

٢٧. قوله تعالى : ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ .قال ابن عباس في رواية : «خرجت مريم من عندهم ضحى تتشرق للشمس[٦] ليس بها[٧] قَلَبَة[٨] ، فجاءت عند الظهر ومعها صبي تحمله ، فكان الحمل

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٦٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٨ . وهذا قول جمهور المفسرين . قال أبو حيان في تفسيره ٦/ ١٩٥ : «إن المعنى :فلن أكلم اليوم إنسياً بعد قولي هذا ، وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى ؛ أي فإمَّا ترين من البشر أحداً وسألك أو حاورك الكلام فقولي» . انظر : أضواء البيان ٤/ ٢٥٤ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٢٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣١ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٧٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٨ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، والكشاف ٢/ ٤٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٥ .

(٦) قوله : (للشمس) : ساقط من نسخة (س) .

(٧) في (ص) : (فيها) .

(٨) قَلَبَة : أي ما بها علَّة يُخشى عليها منها ، وقيل : معناه ما بها شيء يقلقلها . انظر : تهذيب اللغة (قلب) ٣/ ٣٠٢٦ ، والصحاح (قلب) ١/ ٢٠٥ ، والمعجم الوسيط (قلب) ٢/ ٧٥٣ ، ولسان العرب (قلب) ٦/ ٣٧١٣ .

والولادة في ثلاث ساعات من النهار»[١] . وقال الكلبي : «أتت به قومها تحمله بعد أربعين يوماً ، وذلك أنها ولدت حيث لم يشعر بها قومها ، ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ، ثم حملت عيسى إلى قومها ، فلمَّا دخلت عليهم ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين»[٢] . فقالوا : ﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ . قال أبو عبيدة : «كل فائق من عجب أو عمل فهو فري ، وهو هاهنا : عجب»[٣] . وقال الفرَّاء [والزجَّاج وجميع أهل اللغة : «الفَرِي الأمر العظيم ، يقال فلان يَفْرِي الفَرِي][٤] إذا كان يعمل عملاً يفضل فيه الناس»[٥] . ومنه قول سيدنا محمد -عليه السلام- في صفة عمر : «فلم أرَ عبقرياً يَفْري فَرِيَّه»[٦] . قال ابن عباس : «﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ ؛ أي عظيماً منكراً لا يعرف منك ولا من أهل بيتك»[٧] . وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والسُّدِّي قالوا «الفري : العظيم من الأمر»[٨] .

٢٨. قوله تعالى : ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ . اختلفوا في هارون ، مَن هو ؟ فقال ابن عباس في رواية عطاء : «إن مريم كانت عابدة ، وكان في بني

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٦ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٥/ أ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) تهذيب اللغة (فرا) ٣/ ٢٧٥٦ ، ولسان العرب (فرا) ٦/ ٣٤٠٨ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحهفي كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذاً خليلاً» ٣/ ١٣٤٥ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر رضي الله عنه ٤/ ١٨٦٠ ، والترمذي في جامعه ، كتاب الرؤيا ، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ ٤/ ٤٦٨ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٨ ، والثعلبي في تفسيره ٣/ ٥ أ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٠٢٨ .

(٧) زاد المسير ٥/ ٢٢٦ ، وتنوير المقباس ٢٥٥ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ٧٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٦ .

إسرائيل رجل عابد يقال له هارون ، تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم اسمه هارون»[١] .

وهـذا قول قتادة ، وكعب ، وابن زيد قالـوا : «هارون رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه مَن عرف بالصلاح»[٢] . والمعنى : يا شبيهته في العفة . ونحو هذا روى المغيرة بن شـعبة عن النبي ﷺ[٣] . وقال السُّـدِّي : «عنوا هارون أخا موسى ، ونسـبت مريم إلى أنها أخته ؛ لأنها من ولده ، كما يقال للتميمي : يا أخا تميم»[٤] . وقال الكلبي : «كان هارون أخا مريـم من أبيها ليس من أمها ، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل»[٥] . وقيل : «إن هارون هذا كان فاسقاً معلناً بالفسق فشبهت به»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٧٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٠ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٩ ، وجامع البيان ١٦/ ٧٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٥٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ .

(٣) الحديث رواه المغيرة بن شـعبة ، قال : بعثني رسـول الله ﷺ إلى أهل نجران ، فقالوا : ألستم تقرؤون ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسـى وعيسى ؟ فلم أدرِ ما أجيبهم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» . أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسـم وبيان ما يسـتحب من الأسـماء ٢/ ١٦٨٥ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسـير (سـورة مريم) ٢/ ١٤٤ ، والنسـائي في تفسيره ٢/ ٢٩ ، والإمام أحمد في مسـنده ٤/ ٢٥٢ ، وأخرجه الطـبري في جامع البيان ١٦/ ٧٨ ، والماوردي في النكـت والعيون ٣/ ٣٦٨ ، والبغوي في معـالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، والسـمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٢٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٤٥٩ ، والسـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٨٦ وزاد في نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٤) جامع البيـان ١٦/ ٧٨ ، والنكت والعيـون ٣/ ٣٦٩ ، والمحرر الوجيـز ٩/ ٤٦٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٢ .

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣٢٣ ، ومعـالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٨ .

(٦) جامـع البيـان ١٦/ ٧٨ ، وبحـر العلـوم ٢/ ٣٢٣ ، والنكـت والعيـون ٣/ ٣٦٩ ، والمحـرر الوجيـز ٩/ ٤٦١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٨ ، وتفسـير القرآن العظيـم ٣/ ١٣٢ . هذا القول بعيد ، =

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ .قال ابن عباس : «يريد زانياً»[١] .

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ يريد زانية . وذكرنا الكلام في البغي في هذه السورة[٢] . والمعنى في نفي الزنا عن أبويها تعريض بزناها ، كأنهم قالوا : لم يكونا زانيين ، فمن أين لك هذا الولد ؟ قال الفرَّاء : «أي أهل بيتك أخوك وأبوك صالحون ، وقد أتيت أمراً عظيماً»[٣] .

٢٩. قوله تعالى : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ .قال ابن عباس : «تريد أن كلموه وهو يرضع ، فنظر بعضهم إلى بعض تعجباً منها حين أشارت إليه»[٤] . ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ﴾ الآية . وقال أبو إسحاق : «أشارت إليه بأن يجعلوا الكلام معه ، ودل على أنها أشارت إليه في الكلام ، قوله : ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾»[٥] . قال ابن عباس : «يريد في الحجر رضيعاً»[٦] .

= والراجح ـ والله أعلم ـ من هذه الأقوال ما ثبت في الصحيح من حديث المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – الذي مرَّ آنفاً . انظر : جامع البيان ١٦/ ٧٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٢ ، وفتح القدير ٣/ ٤٧٣ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٧١ .

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٩ ، وتنوير المقباس ٢٥٥ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم :٢٠] .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٨ .

(٦) ذكر في المحرر الوجيز ٩/ ٢٦٢ من دون نسبة ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٠ ، ونسبه إلى قتادة ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٦ .

والمَهْدُ : الموضع الذي يُهَيَّأُ لينام فيه الصبي[١] . فيجوز أن يكون الحجر كما ذكره ابن عباس ، وقتادة ، والكلبي[٢] .

ويجوز أن يكون : سريراً كالمَهْد المعروف للصبيان[٣] . واختلفوا في ﴿كَانَ﴾ هاهنا فقال أبو عبيدة : «﴿كَانَ﴾ هاهنا حشو زائد[٤] ، والمعنى : كيف نكلم صبياً في المهد»[٥] . وهذا اختيار ابن قتيبة ، وكثير من أهل التفسير ذكروه[٦] ، واحتجوا بقول الفرزدق[٧] :

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ وَجِيْرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

وقال قوم : «﴿كَانَ﴾ في معنى وقع وحدث»[٨] . والمعنى : كيف نكلم صبياً قد حدث في المهد ؟ وقال الزجَّاج : «وأجود الأقوال أن يكون في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى : مَن يكن في المهد صبياً ، فكيف نكلمه ؟ كما تقول : مَن كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه ؟»[٩] . قال ابن الأنباري : «لا يجوز أن يكون

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (مهد) ٤/ ٣٤٦١ ، والصحاح (مهد) ٢/ ٥٤١ ، والمفردات في غريب القرآن (مهد) ٤٧٦ ، والمصباح المنير (المهد) ٥٨٢ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٧٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٦ .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٦٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢ .

(٤) هذا القول بعيد ، ولا يليق أن يوصف كلام الله بالحشو الزائد ، وكتاب الله هو الحكم في اللغة . قال القرطبي ١١/ ١٠٢ : «لا يجوز أن يقال زائدة وقد نصبت (صبياً)» . انظر : معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٨ ، والبيان في غريب القرآن ٢/ ١٢٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٧ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٧ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢ .

(٧) البيت للفرزدق قاله في قصيدة يمدح فيها هشام بن عبدالملك . انظر : ديوانه ٥٩٧ ، وخزانة الأدب ٩/ ٢١٧ ، والكتاب ٢/ ١٥٣ ، والمقتضب ٤/ ١١٦ ، والدر المصون ٧/ ٥٩٥ ، ولسان العرب (كون) ٧/ ٣٩٦١ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٨ .

(٩) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٨ .

الكون مُلْغىً ، وهو عامل في الصبي النصب ، وقول مَن قال : إن ﴿كَانَ﴾ بمعنى حدث قبيح أيضاً ؛ لأن الصبي لَمَّا انتصب بالكون لم يكن الكون بمعنى الحدوث ؛ لأنه إذا كان بمعنى الوقوع والحدوث استغنى عن خبره ، كما تقول : كان البرد وكان الحر ، تريد وقع وحدث . ثم اختار قول الزجَّاج ، قال : والذي نذهب إليه أن يكون ﴿مَن﴾ في معنى الجزاء و﴿كَانَ﴾ بمعنى يكون ، والتقدير : مَن يكن في المهد صبياً ، فكيف نكلمه ؟ كما تقول : كيف أعظ مَن كان لا يقبل عظتي ؟ معناه : مَن يكن لا يقبل . والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزاء ، كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان : ١٠] معناه : إن شاء يجعل»[(١)] .

قال السُّدِّي : «لما أشارت إليه غضبوا وقالوا : لسخريتها بنا حيث تأمرنا أن نسأل هذا الصبي أعظم علينا مما صنعت»[(٢)] .

٣٠. وكان عيسى يرضع ، فلمَّا سمع كلامهم لم يزد على أن ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وأشار بسبابته فقال : ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ .قال ابن عباس : «أقر بالعبودية على نفسه ، وبربوبية الله أول ما تكلم»[(٣)] . ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ ؛ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة في ما قضى وسبق ، وهذا إخبار عما سبق له مما هو كائن في ما بعد . وقال قوم : «أخبر عما حصل له ؛ لأن الله -تعالى- علمه وهو في بطن أمه التوارة والحكمة والخط ، وجعله نبيّاً ينبئ عن الله ، وكان كلامه في حال الرضاع معجزته ، وذلك أن الله -تعالى- كمل عقله في ذلك الوقت» .

---

(١) ذكر في زاد المسير ٥/ ٢٢٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٧ ، والدر المصون ٧/ ٥٩٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٩/ ٤٦٢ ، والكشاف ٢/ ٤١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢ .

(٣) ذكر نحوه في معالم التنزيل ٥/ ٢٣٠ ، وابن كثير ٣/ ١٣٣ ، والقرطبي ١١/ ١٠٢ ، وفتح القدير ٣/ ٣٣٢ .

والأول قول عكرمة وجماعة[١] . والثاني معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٢] .

٣١. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ .قال ابن عباس : «لأن أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته»[٣] .

وقال مجاهد : «جعلني معلماً للخير نفاعاً»[٤] . وقال غيره : «بركته[٥] : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٦] .

﴿وَأَوْصَنِي﴾ ؛ أمرني ، وتقدم إليَّ ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ ؛ بإقامتها ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ ؛ أي زكاة الأموال[٧] . وقيل : معنى الزكاة هاهنا : «طهارة الجسد من الذنوب ، واجتناب المعاصي»[٨] .

٣٢. ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ ؛ مطيعاً لها لطيفاً بها ، وهو عطف على ﴿مُبَارَكًا﴾[٩] . قال ابن عباس : «لَمَّا قال : ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ ولم يقل : بوالدي علموا أنه

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٨٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٠ ، وابن كثير ٣/ ١٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٧ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٢٣ ، وابن كثير ٣/ ١٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٩ .
والقول الأول أَولى ، وقد ضعَّف القول الثاني عدد من المفسرين . قال ابن عطية في تفسيره ١١/ ٢٩ : «وهذا في غاية الضعف» .

(٣) معالم التنزيل ٣/ ١٩٥ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٩ .

(٥) في (س) : (تركته) ، وهو تصحيف .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) انظر : المصادر السابقة .

(٨) جامع البيان ١٦/ ٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٦٣ .

(٩) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٤ .

شيء مـــن الله»[١] .﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ ؛ متعظـــمًا يقتل ويضرب على الغضب[٢] . ﴿شَقِيًّا﴾ ؛ عاصياً لربه[٣] .

٣٣. قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ .قال أبو إســـحاق : «لَمَّا جرى ذكر السلام قبل هذا بغير ألف ولام كان الأحســـن أن يذكر ثانية بالألف واللام ، ومعنى السلام هاهنا : عموم العافية ؛ لأنه مصدر سَلَّمْتُ سلاماً»[٤] .

قال المفسرون : «الســـلامة عليَّ من الله -تعالى- يـــوم ولدت حتى لم يضرني شيطان»[٥] . وهذا معنى ما روي أن النبي ﷺ قال : «ما من مولود يولد إلَّا ويطعن الشيطان في جنبه وذلك حين يســـتهل صارخاً ، إلَّا عيسى ابن مريم ، فإنه ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[٦] . والآية مفسرة في قصة يحيى في هذه السورة[٧] . قال ابن عباس والمفسرون : «كلمهم عيســـى بهذا ثم سكت فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان»[٨] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ .قال أبو إسحاق : «أي ذلك الذي قال ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآيات ، هو عيسى ابن مريم ، لا ما يقول النصارى

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١٠٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ ، والقرطبي ١١/ ١٠٣ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٨٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٨ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ .

(٥) الطبري ١٦/ ٨٢ ، والماوردي ٣/ ٣٧١ ، والبغوي ٥/ ٢٣٠ ، والقرطبي ١١/ ١٠٤ .

(٦) أخـــرج نحوه البخاري في صحيحـــه في كتاب الأنبياء ، باب قوله تعـــالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ٣/ ١٢٦٥ ، ومســـلم في كتـــاب الفضائل ، باب فضل عيســـى عليه السلام ٤/ ١٨٣٨ ، والإمام أحمد ٢/ ٥٥٣ ، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٧١ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم :١٥] .

(٨) بحر العلوم ٢/ ٣٢٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٦٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٨ .

من أنه ابـــن الله وأنه إله»[١] . ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ هاهنا يجوز أن يراد بـــه الله تعالى ، وهو قول مجاهد[٢] . ويرتفـــع (قَوْل) على أنه نعت لعيسى[٣] ؛ أي ذلك عيسى ابن مريم قول الله ؛ أي كلمته . والكلمة قول ، ويجوز أن يضـــاف القول إلى الحق[٤] ، ومعناه : القول الحق ، كما قيل : ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعـة :٩٥ ، الحاقة :٥١] ، و﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ [الأحقاف :١٦] ، ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسـف :١٠٩] ، وعلى هذا يجوز أن يرتفع (قَوْلُ الْحَقِّ) على النعت لعيســى كما ذكرنـــا ، ويجوز أن يرتفع على أنـــه خبر ابتداء مضمر[٥] ، دل عليـــه قولـــه : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ . والمعنى : هذا الكلام قول الحق ؛ أي هذا الذي ذكرنا من صفته ، وأنه ابن مريم قول الحق ، ومَن قرأ : ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ ، بالنصب فهو نصب على المصدر[٦] ؛ أي قال قول الحق .

[وقال أبو علي :«أمَّا النصب فهو أن قوله : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ يدل على : أَحقُّ قَولَ الحَـــق][٧] . وتقول : هذا زيدُ الحقِّ لا الباطـــل ؛ لأن قول : هذا زيد ، بمنزلة أحُقُّ ، كأنك قلت : أحُقُّ الحَقَّ ، وأَحَقُّ قَولَ الحَقِّ»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٩ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٨٣ ، والنكت والعيـــون ٣/ ٣٧٢ ، وذكر في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٥ من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٤٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٩٨ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٨٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٨ .

(٥) جامـــع البيان ١٦/ ٨٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٤ ، والحجة للقراء الســـبعة ٥/ ٢٠١ ، والدر المصون ٧/ ٥٩٨ .

(٦) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وحمزة ، والكســـائي (قـــولُ الحق) رفعاً ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ نصباً . انظر : السبعة ٤٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠١ ، والتبصرة ٢٥٦ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٢ .

ويكون على هذا التقدير اعتراضاً بين الصفة والموصوف ؛ لأن التقدير : ذلك عيسى ابن مريم الذي فيه . وقال الفرَّاء : «وإن نصبت القول وهو في النية من نعت عيسى كان صواباً ، كأنك قلت : هذا عبدالله الأَسَدَ عَادياً ، كما تقول : أَسَداً عَادياً»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى﴾ هو من نعت عيسى .﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ؛ أي يشكون فيختلفون ، فيقول قائل : هو ابن الله ، ويقول آخر : هو الله[(٢)] . ثم نفى عن نفسه اتخاذ الولد .

٣٥. فقال : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ . أن مع الفعل بمنزلة المصدر أي ما كان له اتخاذ الولد ، على معنى أن ذلك ليس من صفته ، ولا مما يليق به ؛ لأن الولد مجانس للوالد ، وكذلك مَن اتخذ ولداً إنما يتخذه من جنسه ، والله -تعالى- ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يكون له ولد ، ولا أن يتخذ ولداً ، وذكر ابن الأنباري في هذا وجهين :

أحدهما : «أن هذه من المقلوب على معنى ما كان للولد أن يتخذه الله ، فدخلت اللام في غير موضعها على مذهب العرب في الاتساع وقد تقدم لهذا نظائر .

والثاني : أن المعنى ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد ، فنابت اللام عن الفعل الذي هو ينبغي ، وتأويل لا ينبغي : لا يصلح ولا يستقيم»[(٣)] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٨ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٨ ، وجامع البيان ١٦/ ٨٣ ، ٨٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣١ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في المحرر الوجيز ٩/ ٤٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٧ .

وقوله تعالى : ﴿مِن وَلَدٍ﴾ : ﴿مِن﴾ زائدة مؤكدة لاستغراق الجنس ، فلا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر ، هذا معنى قول الزجَّاج : «﴿مِن﴾ مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة»[١] .

ثم نزَّه نفسه عن مقالتهم بقوله : ﴿سُبْحَانَهُ﴾ ، ثم بيَّن السبب في كون عيسى من غير أب فقال : ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ؛ أي إذا أراد أن يحدث ولداً من غير أب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ، كما فعل بآدم إذ خلقه من غير أب ولا أم ، وهو قوله تعالى : ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩] ، والمعنى : أن كون عيسى إنما كان بقضاء الله وإرادته ، وإذا أراد أمراً لم يتعذر عليه ، وأوجده على الوجه الذي أراده . والكلام في مثل هذه الآية قد تقدم في سورة البقرة في قوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة :١١٧] الآية .

٣٦. قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ الآية . ذكر الفرَّاء في فتح ﴿أَنَّ﴾ ثلاثة أوجه أحدها : العطف على عيسى ابن مريم ، بتأويل ذلك عيسى ابن مريم ، وأن الله ربي وربكم ، فيكون في موضع رفع . والثاني : ولأن الله ربي وربكم [فاعبدوه ، فيعمل فيه فاعبدوه][٢] وهذا الوجه اختيار أبي علي[٣] . وروي وجه رابع عن أبي عمرو بن العلاء وهو : أن المعنى وقضى الله ربي وربكم[٤] ، ومَن كسر استأنف الكلام ، وجعله معطوفاً

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٢٩ . وقول الزجَّاج أولى من القول بالزيادة ، وذلك أدباً مع كتاب الله عز وجل ؛ فإن كل حرف ورد فيه يقصد به معنى من المعاني .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩٠ . قال السمين الحلبي في الدر المصون ٧/ ٦٠٠ : «واستبعد الناس صحة هذا النقل عن أبي عمرو ؛ لأنه من الجلالة في العلم والمعرفة بمنزلة يمنعه من هذا القول ، وذلك لأنه إذا عطف على ﴿أَمْرًا﴾ لزم أن يكون داخلاً في حيز الشرط به ﴿إِذَا﴾ ، وكونه - تبارك ربنا - لا يتقيد بشرط ألبتة» .

على المستأنف قبله وهو[١] قوله : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ، ويجوز أن يكون استئنافاً بالواو من غير عطف ، ويؤكد هذا الوجه ما روي في قراءة أُبي : (أن الله ربي وربكم) ، بغير واو[٢] . وعلى الأوجه كلها ، الآية من كلام عيسى لقومه .

قوله تعالى : ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ؛ أي هذا الذي أخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة .

٣٧. قوله تعالى : ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ ؛ يعني فرق النصارى اختلفوا في عيسى فقال بعضهم : هو الله[٣] ، وقال بعضهم : ابن الله[٤] ، وقال بعضهم : ثالث ثلاثة[٥] .

قوله تعالى : ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ ؛ أي بينهم ، ومن زائدة . قال المفسرون : «كانوا أحزاباً متفرقين ﴿بَيْنِهِمْ﴾ في أمر عيسى»[٦] .

---

(١) في (س) : (وهذا) .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٨٥ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٤ ، والكشاف ٢/ ٤١١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٨ . وقد اختلف القرَّاء في قراءة هذه الآية ؛ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو (وأن الله ربي) بنصب الألف ، وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، حمزة ، والكسائي ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بالكسر . انظر : السبعة ٤١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٣ ، والنشر ٢/ ٣١٨ .

(٣) وهم اليعقوبية . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٨ ، وجامع البيان ١٦/ ٨٥ ، ٨٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٢ .

(٤) وهم النسطورية . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٩ ، وجامع البيان ١٦/ ٨٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣١ ، والدر المنثور ٢/ ٤٨٨ .

(٥) وهم الإسرائيلية من ملوك النصارى . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٩ ، وجامع البيان ١٦/ ٨٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٨٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ .

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ فشدة عذاب للذين كفروا بالله بقولهم في المسيح بأنه ابن الله وأنه إله ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ؛ أي من حضور ذلك اليوم ، والمشهد مصدر يراد به [الشهود ، والمعنى : ويل لهم إذا جاءت القيامة[١] . ويجوز أن يكون الحضور لهم ، وأضيف إلى الظرف لوقوعه فيه ، كما تقول : ويل لفلان][٢] من قتال يوم كذا ، والمعنى : ويل لهم حضورهم ذلك ، وشهودهم إياه للجزاء والحساب[٣] .

٣٨. قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ . قال قتادة : «ذلك -والله- يوم القيامة ، سمعوا حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر»[٤] .

وقال ابن عباس ، والسُّدِّي ، وجميع المفسرين : «ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة !»[٥] . وقال الكلبي : «يقول : ما أبصرهم بالهدى يوم القيامة ! وأطوعهم أن عيسى ليس الله ، ولا ابن الله ، ولا ثالث ثلاثة !»[٦] .

فجعل السمع هاهنا بمعنى الطاعة وهو حسن . وقال الحسن : «لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق ! فما أبصرهم به وأسمعهم يوم القيامة !»[٧] . ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ؛ يعني أن الكافرين والمشركين ضلوا في الدنيا ، وعموا عن الحق وآثروا الهوى على الهدى .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٨٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) الكشاف ٢/ ٤١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٧٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٨٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٨٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٦٣ .

(٦) معالم التنزيل ٣/ ٢٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٧ أ .

(٧) النكت والعيون ٣/ ٣٧٣ .

وقولــه تعــالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ . لفظ التعجب كما قالوا في تفســيره : ما أسمعهم وأبصرهم[١] ! وللتعجب لفظان أحدهما : ما أكرم زيداً ! وذكرنا الكلام فيه عنــد قولــه : ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :١٧٥] ، والثــاني : أكرم بزيد ! وأسمع بهم وأبصر !

قال أبو علي : «وهذا مثال الأمر أقيم مقام الخبر ، والمعنى : اسمعوا وأبصروا ؛ أي صاروا ذوي سماع وإبصار ، فوقع مثال الأمر هاهنا موقع الخبر ، كما وقع مثال الخبر موقع الأمر في الدعاء في مثل : غفر الله لزيد ، وقطع الله يد فلان ، وســلام عليــك ، وخير بين يديك ، ونحوه مما يراد به الدعاء ، وهو على لفظ الخبر ، ومثل هذا مما جاء في التنزيل قوله : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم :٧٥] فهذا لفظه كلفظ أمثلة الأمــر ومعناه الخبر ، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا وأن المعنى : يمده الرحمن مداداً ؟ ويدلك على أن المراد في هذا الخبر أن السمع والبصر وغيرهما من الأحداث لا يخاطــب ولا يؤمر ولا ينهى ، فليس للأمر هاهنا معنى ولا متوجه»[٢] .

وموضع الباء مع ما بعدها من المنجر في قولك : أكرم بزيد رفع ، كما أن الباء في : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[٣] كذلك ، وذلــك أن المتعجب منه وقع موقع الفاعل ، وفاعل هذا الفعل المتعجب منه ، فلذلك قلنا : إن الجار مع المجرور في موضع رفع .

٣٩. قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ ؛ أي خوِّف يــا محمد ، كفار مكة يوم الندامة يتحسر المسيء هلَّا أحســن العمل ؟ والمحســن هـَـلا ازداد من الإحسان ؟ وقال أكثر أهل التأويل : «يعني الحسرة حين يذبح الموت بين الفريقــين ، ويقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٤ .
(٢) ذكر مختصراً في الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .
(٣) وردت في مواطن كثيرة ، ومنها ما ورد في سورة النساء ، الآية ٦ .

فلا موت ، فلو مات أحد فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزناً لمات أهل النار»[١] .

قال مقاتل : «لولا ما قضى الله من تخليد أهل النار فيها لماتوا حسرة حين رأوا ذلك»[٢] . وهذا يروى مرفوعاً عن النبي ﷺ[٣] .

قوله تعالى : ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ ؛ أي فرغ من الحساب ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار . والمعنى : إذ يقضى الأمر ؛ لأنه لم يأتِ بعد إلَّا أن ما كان من أحكام الآخرة يذكر بلفظ الماضي في القرآن ؛ لأنها كأنها قد وقعت حيث هي كائنة لا شك ، كقوله : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف :٤٤] ، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف :٥٠] . وقال ابن جريج في قوله : «﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ : إذ ذبح

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٤٧٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٩ .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، والكشف والبيان ٣/ ٧ أ .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل أهل النار ، النار وأدخل أهل الجنة الجنة يجاء بالموت كأنه كبش أملح فينادي منادٍ : يا أهل الجنة ، تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون وكل قد رأوه فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم ينادي : يا أهل النار ، تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، وكلهم قد رأوه فيقولون : نعم هذا الموت ، فيؤخذ فيذبح ، ثم ينادي : يا أهل الجنة ، خلود ولا موت ، ويا أهل النار ، خلود ولا موت ، فذلك قوله : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ قال : أهل الدنيا في غفلة» . أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة مريم) ٦/ ١١٧ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٤/ ٢١٨٨ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/ ١٤ ، والدرامي في كتاب الرقائق ، باب ذبح الموت ٢/ ٣٢٩ ، وأحمد في مسنده ٣/ ٩ ، والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٠ ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ٨٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٨٩ وزاد في نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

الموت»[١] . وقال مقاتل بن سليمان : «إذ قضي لهم العذاب في الآخرة وهم في الدنيا في غفلة»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الدنيا»[٣] . وهذا استئناف إخبار عنهم أنهم في غفلة . عن ذلك اليوم وأحكامه . ثم أخبر عن كفرهم بذلك اليوم فقال : ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس : «لا يصدقون بالبعث»[٤] .

وقال السُّدِّي : «وهم في غفلة في الدنيا عما يصنع الموت ذلك اليوم ، وهم لا يؤمنون بما يصنع بالموت ذلك اليوم»[٥] .

٤٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ ؛ أي نميت سكانها فنرثها ومن عليها لأني أميتهم وأهلكهم[٦] ، وهذا كقوله : ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر :٢٣] ، وذكرنا الكلام فيه . ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد إحيائنا إياهم للثواب والعقاب .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٨٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩١ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٣٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩١ .

(٣) ذكر من دون نسبة في المحرر الوجيز ٩/ ٤٧٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩١ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٨٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٧ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩١ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٩ ، وفتح القدير ٣/ ٤٧٧ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ كقولك لغيرك : أرثك وأرث مالك ؛ أي تموت فينتقل إليَّ مالك . والمعنى : أنهم يموتون وتبقى الأرض لا مالك لها إلَّا الله عز وجل .

٤١. قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ .اقصص عليهم قصته . قال ابن عباس : «اذكر لقومك إبراهيم ، فقد انتهى إليهم دينه ، وعرفوا أنهم من ولده ، وأنه كان حنيفاً مسلماً»(١) . وهو معنى قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ . والصديق : اسم للمبالغ في الصدق . وقد مرَّ(٢) .

٤٢. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ .سبق الكلام في هذه التاء في (أبت) في أول سورة يوسف(٣)(٤) .

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ ؛ يعني الصنم(٥) ، وبخه على عبادته شيئاً لا سمع له ولا بصر .﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ ؛ لا يدفع عنك ضراً ، ولا يكفيك شيئاً .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٢٣ ، وروح البيان ٥/ ٣٣٦ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [يوسف : الآية ٤٦] .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] .

(٤) قال الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤١٢ : «انظر : حين أراد أن ينصح أباه ويعظه في ما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء ، وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة ، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرشق مساق ، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا» .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٨٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .

٤٣. ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ . قال ابن عباس : «من اليقين والمعرفة بالله»[(١)] . قال أبو إسحاق : «وهذا يدل على أنه كان قد أتاه الوحي»[(٢)] . ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد اتبعني على ما جاءني من ربي أرشدك إلى دين مستقيم»[(٣)] . ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ . قال ابن عباس : «لا تطعه»[(٤)] . قال أبو إسحاق : «معنى عبادة الشيطان : طاعته في ما يسول من الكفر والمعاصي»[(٥)] . والمعنى أن عبادتك الصنم عبادة الشيطان ؛ لأن مَن أطاع شيئاً في معصية الله فقد عبده .

٤٤. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ . قيل : كان زائدة . وقيل : إنها بمعنى صار[(٦)] . والصحيح أنها بمعنى الحال[(٧)] ؛ أي كائن ، كما ذكرنا في قوله : ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ﴾ [مريم :٨] الآية . والعصي : بمعنى العاصي على فعيل مثل القادر والقدير وبابه .

٤٥. ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ؛ أخشى أن يصيبك عذاب الله بطاعتك الشيطان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ ؛ قريناً في النار .

---

(١) ذكره من دون نسبة البغوي ٥/ ٢٣٤ ، والقرطبي ١١/ ١١١ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٢ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، وابن كثير ٣/ ١٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المصادر السابقة ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٦ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .

قال الفـــرَّاء : «﴿أَخَافُ﴾ ؛ أي أعلم ، كقوله : ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف :٨٠] ؛ أي فعلمنا»[١] .

٤٦. فقال أبوه مجيباً له :﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ؛ أي أتاركها أنت وتـــارك عبادتها ، يقال : رغب عن الشيء إذا تركه عمداً[٢] . ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ ؛ لم تمتنع عن شتمها وعيبها ، ومعنى الانتهاء الامتناع من الفعل المنهي عنه ، يقال : نهاه عن كذا فانتهى[٣] .

وقوله تعـــالى : ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ :لأرمينـــك بالقول القبيح وأشـــتمك» ، قاله الضحاك ، ومقاتل ، والسُّـــدِّي ، والكلبي ، ومجاهـــد ، وابن جريج[٤] . واختيار الزجَّاج قال : «يقال : فلان يرمي فلاناً ، ويرجم فلاناً معناه : يشـــتمه»[٥] . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «لأقتلنك»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٩ .

(٢) انظـــر : تهذيب اللغة (رغـــب) ٢/ ١٤٣٢ ، ومقاييس اللغة (رغـــب) ٢/ ٤١٥ ، والقاموس المحيط (رغب) ٩٠ ، والمفردات (رغب) ١٩٨ .

(٣) انظـــر : تهذيب اللغة (نهى) ٤/ ٣٦٨٠ ، والصحاح (نهـــى) ٦/ ٢٥١٧ ، والمفردات في غريب القرآن (نهي) ٥٠٧ ، ولسان العرب (نهي) ٨/ ٤٥٦٤ .

(٤) جامع البيـــان ١٦/ ٩١ ، والنكت والعيـــون ٣/ ٣٧٤ ، والمحرر الوجيـــز ٩/ ٤٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٢ .

(٦) ذكـــره ابن عطية في المحـــرر الوجيز ٩/ ٤٧٨ من دون نســـبة ، وكذلك الســـمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٢٥ .

وقال الحسن : «لأرمينك بالحجارة حتى تبعد عني»[١] . وهذا كما روي عن ابن عباس أنه قال : «لأضربنك بالحجارة»[٢] . وذكرنا الكلام في معاني الرجم عند قوله : «﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١]» .

وقوله : ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ . يقال : هَجَرَ الرجل هَجْراً إذا تباعد ونأى ، وهَجَرَ في الصوم يَهْجُرُ هِجْرَاناً ، قاله أبو زيد[٣] . قال ابن عباس : «واعتزلني»[٤] . وقال الكلبي : «واتركني»[٥] .

﴿مَلِيًّا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد حيناً»[٦] . وهو قول مجاهد[٧] . وقال عكرمة : «دهراً»[٨] . وقال الحسن : «زماناً طويلاً»[٩] . وهو قول الكلبي[١٠] . وقال السُّدِّي : «أبداً»[١١] .

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .

(٣) تهذيب اللغة (هجر) ٤/ ٣٧١٧ ، ولسان العرب (هجر) ٨/ ٤٦١٧ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٨ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٧ ب ، وذكر نحوه في معالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٧ ، وفتح القدير ٣/ ٣٣٧ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٩١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

(٨) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٧ .

(٩) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠ ، وجامع البيان ١٦/ ٩١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

(١٠) جامع البيان ١٦/ ٩١ ، والكشف والبيان ٣/ ٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩١ .

(١١) جامع البيان ١٦/ ٩١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

قال الليث : «المليُّ من الدهر حين طويل ، ويقال : أقام مَلِياً»[١] .

وقال الفرَّاء : «يقال : مَلْوَةً من الدهر ، ومُلْوَةً ، ومِلْوَةً ، ومُلاوَةً ، ومِلاوَةً ، وكله من الطول»[٢] . والله يُمْلِي مَن يشاء فيؤجله ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف :١٨٣] [القلم :٤٥] ، قال الأصمعي : «وأَمْلَى عليه الزمن ؛ أي طال عليه ، وأَمْلَى له ؛ أي طول له وأمهله»[٣] . قال ابن السكيت : «تَمَلَّيْت العيش ، إذا عشت مَلِياً ؛ أي طويلاً»[٤] .

قال العجاج[٥] :

مُلاوَةً مُلَّيْتُهَا كَأَنِّي ضَارِبُ صَنْجِ نَشْوَةٍ مُغَنِّي

مَلَّيتها ؛ أي طولت لي . وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران :١٧٨] .

وقال أبو علي الفارسي : «قالوا : انتظرته مَلِياً من الدهر ؛ أي متسعاً منه ، وهو صفة استعمل استعمال الأسماء ، والمَلأَة من هذه الزيادة عرضها واتساعها ، والهمزة فيه منقلبة عن حرف لين ، يريد به سقوطها في التحقير ، ولو كانت الهمزة لاماً لم تسقط»[٦] .

---

(١) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ ، والقاموس المحيط ٤/ ٥٢ ، وتاج العروس ١/ ٢٥٢ ، واللسان ٧/ ٤٢٧٣ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٩ .

(٣) تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ ، ولسان العرب (ملا) ٧/ ٤٢٧٣ .

(٤) انظر : لسان العرب (ملا) ٧/ ٤٢٧٣ ، وتاج العروس (ملا) ١/ ٢٥٢ .

(٥) البيت للعجاج . الصَّنْجُ : هو الذي يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر ، وقيل الصنج : ذو الأوتار الذي يلعب به . انظر : تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ ، ولسان العرب (ملا) ٧/ ٤٢٧٣ .

(٦) ذكر نحوه في الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٠٢ .

وروي عن ابن عباس في قوله : ﴿مَلِيًّا﴾ قال : «سالم العِرض لا يصيبك مني مكروه»[١] . وهو قول قتادة ، وعطية ، والضحاك قالوا في معنى ﴿مَلِيًّا﴾ : «سوياً سليماً»[٢] . وأصل هذا من قولهم : فلان مَلِيٌّ بهذا الأمر . والقول هو الأول ؛ لأن الملي بالأمر أصله الهمز[٣] .

قال أبو زيد : «مَلُؤ الرجل ، يَمْلُؤُ ، مَلاءَة فهو مَلِيء»[٤] . ولم يرو عن القرَّاء : (وَاهْجُرْنِي مليئاً) بالهمز .

٤٧. فقال إبراهيم مجيباً لأبيه : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ ؛ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه[٥] . وذلك أنه لا يؤمر بقتاله على كفره فلذلك قال : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ .وسُئل سفيان بن عيينة : «أيجوز السلام على أهل الذمة ؟ فقال : نعم ، إنما حضر ذلك في دار الحرب ، فأما في السلم فلا ، وقد قال الله تعالى : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [الممتحنة :٨] الآية ، وقال في قصة إبراهيم : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله : ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة :٤] ، فاستثنى الاستغفار ، ولم يستثن

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٩٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٧٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠ ، وجامع البيان ١٦/ ٩٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥ .

(٣) قال ابن جرير الطبري ـرحمه اللهـ في تفسيره ١٦/ ٩٢ : «وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول مَن قال : معنى ذلك واهجرني سوياً سليماً من عقوبتي ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأمَّا الأمر بطول هجره فلا وجه له» .

(٤) تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ .

(٥) جامع البيان ٦/ ٩٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨٠ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٩٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

السلام»[١] . وقد قال إبراهيم : ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ سأدعو لك ربي بالمغفرة والتوبة ، وذلك أنه لمَّا أعياه أمره وعده أن يراجع الله في بابه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له ، واستغفاره له يتضمن مسألة التوحيد ؛ لأنه لا يغفر له ما ثبت على شركه ، ألا ترى أن الله -تعالى- قال : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ؛ [التوبة :١١٤] أي لمَّا مات على شركه ترك الاستغفار له . والمعنى على هذا ، سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته[٢] . وقيل : «إنه وعد أباه الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور على المُصرِّ على الكفر فلمَّا أعلمه الله][٣] ما فيه قطع الاستغفار وبرئ من أبيه»[٤] .

قوله تعالى :﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ .قال ابن عباس ، ومقاتل : «لطيفاً باراً»][٥] . وهو قول أكثر المفسرين .

قال الزجَّاج : «يقال : تَحَفَّى به تَحَفِّياً ، وحَفِي به حَفْوَة ، إذا بره وألطفه»[٦] .

---

(١) ذكره القرطبي ١١/ ١١١ ، وقال : «والجمهور على أن المراد بسلامه : المسالمة التي هي المتاركة لا التحية ، وقال النقاش : حليم خاطب فيها كما قال : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٢٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٧ .

(٣) من قوله : (وموضع الباء مع ما بعدها . . .) إلى هنا ساقط من (س) .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٤٨٠ ، وابن كثير ٣/ ١٣٧ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ . يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة :١١٤] .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٩٢ ، وابن كثير ٣/ ١٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨ ، وفتح القدير ٣/ ٣٣٧ . ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٣ .

وقال الكلبي : «﴿حَفِيًّا﴾ : عالماً»[١] . وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٢] . قال جابر : «معيناً»[٣] .

وذكر الفرَّاء القولين جميعاً[٤] . والكلام في هذا قد مرَّ مستقصى في قوله : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف :١٨٧] .

٤٨. قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ ؛ أي أتنحى عنكم وأفارقكم . يقال : عَزَلْتُه عن الشيء نحيته عنه فَاعْتَزَل[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي أعتزل ما تعبدون من دون الله يعني : الأصنام[٦] . ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ ؛ أعبده . ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ ؛ أرجو أن لا أشقى بعبادته ، وفي هذا إشارة إلى أنهم شقوا بعبادة الأصنام ؛ لأنها لا تنفعهم ولا تجيب دعاءهم[٧] .

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٧٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٣ .

(٣) ذكره أبو حيان في النهر المارد من دون نسبة ١/ ٣٩٢ ، وكذلك ابن سعدي في تيسير الكريم الرحمن ٥/ ١١٣ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عزل) ٥/ ٢٩٣٠ ، ومقاييس اللغة (عزل) ٤/ ٣٠٧ ، والمفردات في غريب القرآن (عزل) ٣٣٤ ، ومختار الصحاح (عزل) ٤٣٠ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨ .

٤٩. ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؛ هاجرهم بالخروج إلى ناحية الشام[١] . ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ؛ آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله[٢] . ﴿وَكُلًّا﴾ من هذين ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ .

٥٠. قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ . قال الكلبي : «المال والولد»[٣] . وهو قول الأكثرين قالوا : «رحمته : ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق»[٤] . فقوله : ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ في محل النصب بوقوع الهبة عليه . وقال آخرون : «يعني الكتاب والنبوة»[٥] . ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ؛ أي ثناءً حسناً في الناس ﴿عَلِيًّا﴾ ؛ مرتفعاً سائراً في الناس[٦] . وكل أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم . واللسان يذكر ويراد به القول واللغة ، وإضافته إلى الصدق مدح له ، والعرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق يقال : فلان رجل صدق . قال الله تعالى : ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس :٩٣] . وقال : ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس :٢] ، وتقول العرب : إن لسان الناس عليه لحسنة ، وحسن ، أي ثناؤهم ، يقولون : إن شفة الناس عليك لحسنة[٧] .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، والكشاف ٢/ ٤١٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٣ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، والكشاف ٢/ ٤١٤ ، وزاد المسير ٥/ ٨٣٨ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٩٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٩٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ .

(٧) تهذيب اللغة (لسن) ٤/ ٣٢٦٢ .

٥١. قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ . قال الكلبي : «أخلص العبادة والتوحيد لله تعالى[(١)] ؛ أي جعلها خالصة من شائبة تفسدها» . وقال الزجَّاج : «جعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسة»[(٢)] . ومَن قرأ : ﴿مُخْلَصًا﴾ بالفتح[(٣)] . فهو الذي أخلصه الله وجعله مختاراً خالصاً من الدنس ، فحجة مَن كسر اللام قوله : ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء :١٤٦] ، وحجة مَن فتحها قوله : ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص :٤٦] .

٥٢. وقوله تعالى : ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ .قال ابن عباس : «يريد حيث أقبل من مدين[(٤)] ، ورأى النار في الشجرة ، وهو يريد مَن يهديه إلى طريق مصر ، فلمَّا انتهى إلى الشجرة ناداه الله»[(٥)] ، وهو قوله : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص :٣٠] .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٣١ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٣ .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم في رواية الكسائي عن أبي بكر والمفضل عن عاصم (مُخْلِصاً) بكسر اللام ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية يحيى عن أبي بكر ، وحفص عنه ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام . انظر : السبعة ٤١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٤ ، وحجة القراءات ٤٤٥ .

(٤) مدين : مدينة على البحر الأحمر ، محاذية لتبوك من الجنوب على نحو ست مراحل ، وكانت منازل العاربة من طسم ، وجديس ، وأميم ، وجرهم ، وقد هلك مَن هلك من بقايا العاربة بمدين ، وخلفهم فيها بنو قحطان ابن عابر فعرفوا بعرب مدين . انظر : معجم البلدان ٥/ ٧٧ ، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٢٠١ ، ونهاية الأرب ١٩ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩٩ ، ومجمع البيان ٥/ ٨٠٠ ، وروح البيان ٥/ ٣٣٩ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص :٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ ؛ أي من ناحية الجبل ، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه : زبير[١] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ . قال الكلبي : «يعني يمين موسى ، ولم يكن للجبل يمين ولا شمال»[٢] . ونحو هذا قال الفرَّاء وقال : «إنما هو الجانب الذي يلي يمين موسى ، كما تقول : عن يمين القبلة وشمالها»[٣] . ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ ؛ أي مناجياً ، والنجي بمعنى : المناجي كالجليس ، والنديم ، قاله الفرَّاء ، والزجَّاج[٤] . وقد يكون النجي اسماً ومصدراً ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف : ٨٠] . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد قربه الله وكلمه»[٥] . وهذا قول جماعة جعلوا معنى هذا التقريب أن أسمعه كلامه[٦] . وهو قول أبي عبيدة ، واختيار الزجَّاج قال : «قربه منه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله وهي كلام الله عز وجل»[٧] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥٨ ، والتبيان في أقسام القرآن ١٦٥ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ .

(٢) ذكر من دون نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٩ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٣ ، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٩ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ .

(٦) بحر العلوم ١/ ٣٢٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٤ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٣ .

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «قربه حتى سمع صريف القلم حين كتب في اللـوح»[(١)] . وهو قول الكلبي ، ومجاهد[(٢)] . وقال الحسـن : «أدخل في السماء الدنيا فكلم»[(٣)] .

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ ؛ أي من نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد حيث سـألني»[(٤)] . فقال : ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طـه :٢٩ ، ٣٠] الآية . [قال الكلبـي : «وكان معه وزيراً»[(٥)] . و﴿نَبِيًّا﴾ منصوب بوهبنا على تقدير ووهبنا له مـن رحمتنا نبيّاً أخاه هارون][(٦)] على أن تجعـل أخاه بدلاً من (نبيّاً) ، ولا يجـوز أن تجعل أخاه منصوباً بوهبنا ؛ لأنه لم يسأل الله أن يهب له أخاً إنما سأله أن يشرك أخاه في نبوته ويجعله وزيراً [له فوهبه الله ذلك بـأن][(٧)] أكرم أخاه بالنبوة[(٨)] . يدل

---

(١) جامع البيـان ١٦/ ٩٤ ، والنكت والعيـون ٣/ ٣٧٦ ، والمحرر الوجيـز ٩/ ٤٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٨ .

(٢) جامع البيـان ١٦/ ٩٥ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، وتفسـير القرآن العظيـم ٣/ ١٣٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩٢ .

(٣) ذكرته كتب التفسـير ، ونسبته إلى السُّـدِّي . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٩٧ .

(٤) ذكرته كتب التفسـير من دون نسـبة . انظر : الكشـف والبيان ٣/ ٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٣١ . يشـهد لهذا قوله - تعالى - في سـورة القصص ، الآيـة ٣٤ : ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ .

(٥) ذكرته كتب التفسـير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٩ ، وروح البيان ٥/ ٣٣٩ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٩ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٥ .

على هذا ما روى عكرمة عن ابن عباس قال : «هارون أكبر من موسى [وإنما وهبت له نبوته»][(١)(٢)] .

٥٤. قوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ . قال مجاهد : «لم يعد شيئاً إلَّا وفَّى به»[(٣)] . قال مقاتل : «أقام ينتظر إنساناً ليعاد ثلاثة أيام»[(٤)] .

وقال الكلبي : «أقام حتى حال عليه الحول»[(٥)] . وقال عطاء عن ابن عباس : «وعده إنسان أن يعود إليه فأقام ولم يبرح من مكانه ، وكان في ضميره أن لو أقام سنة لم يخلفه موعده ، حتى أتاه جبريل فقال : إن الفاجر الذي سألك أن تقعد حتى يعود إليك هو إبليس ، فلا تقعد ولا كرامة»[(٦)] . فسماه الله صادق الوعد . ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ قال : «أرسل إلى جرهم»[(٧)(٨)] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٧١ ، والكشاف ٢/ ٤١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ .

(٤) بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ .

(٥) بحر العلوم ٣/ ٣٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٨ أ . وذكره ابن عطية في تفسيره ٩/ ٤٨٥ من دون نسبة ، وقال : «وهذا بعيد غير صحيح» . والراجح في ذلك قول مجاهد رحمه الله : فإن إسماعيل لم يعد شيئاً إلَّا وفَّى به ، وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٥ . قال : «وهذا بعيد ولا يصح» . وذكر نحوه الماوردي في تفسيره ٣/ ٣٧٦ ، والزمخشري في كشافه ٢/ ٤١٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٤٠ .

(٧) جرهم : بطن من القحطانية كانت منازلهم باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه ، ثم نزلوا مكة واستوطنوها ، وكانوا ملوكاً في الحجاز حتى نزل إسماعيل ـعليه السلامـ مكة نزلوا عليه ، وتزوج منهم ، واستولت جرهم على البيت ، ثم تفرقت قبائل العرب بسيل العرم ، ونزلت عليهم خزاعة وأخرجت جرهم من مكة . انظر : معجم قبائل العرب ١/ ١٨٣ ، والأنساب للسمعاني ٢/ ٤٧ ، ونهاية الإرب ٢١١ ، والمنتخب في ذكر أنساب العرب ١٧٢ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٦ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ .

٥٥. وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ .قال ابن عباس : «يريد قومه»[(١)] . قال الزجَّاج : «أهله جميع أمته ، ممن كانت بينه وبينهم قرابة أو لم يكن ، وكذلك أهل كل نبي أمته»[(٢)] ، لأن كل نبي[(٣)] فهو بمنزلة الأب لأمته ، فإذا كانت الأمة كالأولاد له[(٤)] فهم أهله . قاله مقاتل[(٥)] . نظيره : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه :١٣٢] ؛ أي قومك .

وقوله تعالى : ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ .قال ابن عباس : «يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا»[(٦)] . ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ .قال : «يريد قام لله بطاعته»[(٧)] .

قال الزجَّاج : «ويقال : فلان مَرْضُو ، ومَرْضي ، وأَرْضٌ مَسْنُوَّة ومَسْنِية إذا سقيت بالسواني ، والأصل الواو إلَّا أنها قلبَت عند الخليل ؛ لأنها طرف»[(٨)] . وقال الفرَّاء : «الأصل الواو بدليل الرِّضْوَان ، والذين قالوا مَرْضِيًّا بنوه على رَضِيْت أَرْضِي ، أصله رَضَوْت أَرْضُو فصارت الواو في رَضَوْت ياء لانكسار

(١) ذكر في كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٤٠ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٣ .

(٣) في (س) : (شيء) ، وهو تصحيف .

(٤) قوله : (له) : ساقط من نسخة (س) .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩٩ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠٠ ، وأنوار التنزيل ٤/ ١٠ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٠ .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٣٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٩ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٣٢ ، وروح البيان ٥/ ٣٤١ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٤ .

ما قبلها ، وغلبت الفتحة على الـــواو من أَرْضُو فجعلتها[١] ألفاً وبني مَرْضِي على رَضِيْت» . هذا مذهب الفرَّاء[٢] .

٥٦-٥٧ . قوله تعالى في ذكـــر إدريس : ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ . قـــال ابن عباس في رواية عطاء : «يعني الجنة»[٣] . والقصة في كيفية ذلك معروفة . وروى أنس ابن مالك أن نبي الله ﷺ قال : «لَمَّا عُرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة»[٤] .

ونحو ذلك روى أبو سعيد الخدري[٥] . وهو قول كعب ، ومجاهد قال : «رُفع إلى السماء الرابعة ، ولم يمت كما رُفع عيسى»[٦] . وروي عن ابن عباس أيضاً : «أنه

---

(١) في (س) : (فجعلها) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٠ .

(٣) ذكرته كتب التفســير من غير نســبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤١ .

(٤) أخرجــه البخاري في كتاب بــدء الخلق ، باب ذكر الملائكة : ٤/ ٧٧ ، ومســلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب الإسراء :١/ ١٤٩ ، والترمذي في كتاب ، التفســير ، ســورة مريم : ١٢/ ١٤ ، وأحمد في مســنده : ٣/ ٢٧٠ ، وابن أبي شــيبة في مصنفه : ١١/ ٥٣٣ ، والحاكم في المســتدرك : ٢/ ٣٧٣ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/ ٩٦ ، وابن كثير في تفسيره ٣٠/ ١٤٠ ، والسيوطي في الدر المنثور : ٤/ ٤٩٤ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن مردوية ، وعبد بن حميد .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٧٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٧ ، وزاد المســير ٥/ ٢٤١ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩٤ .

(٦) جامــع البيان ١٦/ ٩٦ ، وبحــر العلوم ٢/ ٣٢٦ ، والنكــت والعيــون ٣/ ٣٧٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٠ .

رُفع إلى السماء السادسة»[١] . وهو قول الضحاك[٢] . وقال أبو إسحاق : «وجائز أن قوله : ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ في النبوة والعلم»[٣] .

٥٨. قوله تعالى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة . ثم بيَّن مراتبهم في شرف النسب فقال : ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ . قال ابن عباس ، والسُّدِّي : «يعني إدريسَ ، ونوحاً»[٤] . ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم ؛ لأنه من ولد سام بن نوح ، ويريد بالحمل مع نوح الحمل في سفينته . ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يريد إسحاق ، وإسماعيل ، ويعقوب .

وقوله تعالى : ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني : ومن ذريته وهم موسى ، وهارون ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى[٥] . وكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم ، ولإبراهيم شرف القرب من نوح . وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب لَمَّا تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ ؛ أي هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «سجداً متضرعين

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٩٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٠ ، والكشاف ٢/ ٤١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤١ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٩٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٧ . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري ٦/ ٣٧٥ : «وكون إدريس رُفع وهو حي لم يثبت من طرق مرفوعة قوية» .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٥ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٩٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤١ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٠٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٩٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ١٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٠ ، والكشاف ٢/ ٤١٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٢٠ .

إليه»[١] . قال أبو إسحاق : «قد بيَّن الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا»[٢] . وذكر الكلام في انتصاب سجداً عند قوله : ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء :١٠٧] . ﴿وَبُكِيًّا﴾ : جمع باكٍ مثل ساجد وسجود ، وقاعد وقعود أصله : بكوي ففعل كما فعل بمرميٍّ ومقضيٍّ ، وقد ذكرنا ذلك في هذه السورة[٣] .

٥٩. قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ .ذكرنا الكلام في هذا في سورة الأعراف [١٦٩] . قال السُّدِّي : «هم اليهود والنصارى»[٤] . وقال مجاهد وقتادة : «هم من هذه الأمة عند قيام الساعة وذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ، قوماً يتبارون ينزوا بعضهم على بعض في الأزقة[٥] زناة»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾ .قال محمد بن كعب : «تركوها»[٧] .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٩٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٣٤ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٥ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم :٨] .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٠٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩٩ .

(٥) الزقاق : الطريق الضيق دون السكة والجمع أزقة ، وزقاق . انظر : تهذيب اللغة (زقق) ٢/ ١٤٠١ ، والصحاح (زقق) ٤/ ١٤٩١ ، ولسان العرب (زقق) ٣/ ١٨٤٥ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٤/ ٧٧ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، وباب الإسراء ١/ ١٤٩ ، والترمذي في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/ ١٤ ، وأحمد في مسنده ٣/ ٢٧٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٥٣٣ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٣ وصحّحه ووافقه الذهبي ، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/ ٩٦ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٩٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، وعبد بن حميد .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩٩ .

وقال القاسم بن مخيمرة[١] : «أخروها عن وقتها»[٢] . وهو قول إبراهيم ، وسعيد بن المسيب ، وعمر بن عبدالعزيز[٣] . قال إبراهيم : «أضاعوا الوقت»[٤] .

وقال عمر : «شربوا الخمر فأضاعوها»[٥] .

وقال سعيد : «هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ، ولا العصر حتى تغرب الشمس»[٦] . وقال السُّدِّي : «لم يتركوها ولكنهم أضاعوا وقتها»[٧] .

وقال الحسن : «عطلوا المساجد ولزموا الضيعات»[٨][٩] .

---

(١) القاسم بن مخيمرة الهمداني ، أبو عروة الكوفي ، نزيل الشام ، تابعي ، إمام عابد ، محدث فقيه ، توفي ـرحمه اللهـ سنة ١٠٠هـ . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠١ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٣٧ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٩٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٢ .

(٣) ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/ ٩٩ رأياً نقله عن العلماء يقول فيه : «أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً» . وقال القرطبي في تفسيره ١١/ ١٢٣ : «وجملة القول في هذا الباب أن مَن لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها ، ومَن لم يحافظ عليها فقد ضيعها فهو لما سواها أضيع ، كما أن مَن حافظ عليها حفظ الله عليه دينه ولا دين لمَن لا صلاة له» .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، والكشاف ٢/ ٤١٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩٩ .

(٥) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤٩٩ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٩٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢ .

(٨) الضيعة : الحرفة والتجارة ، وضيعة الرجل : حرفته وصناعته ، ومعاشه وكسبه . وقيل : الضياع المنازل ، وسميت ضياعاً ؛ لأنها تضيع إذا ترك تعهدها وعمارتها . انظر : تهذيب اللغة (ضيع) ٣/ ٢٠٧٩ ، والصحاح ٣/ ١٢٥٢ ، ولسان العرب ٥/ ٢٦٢٤ ، ومختار الصحاح ١٦٢ .

(٩) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٣ .

قال الزجَّاج : «والأشبه في تفسير : ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوها ألبتة ؛ لأنه يدل على أنه يعني به الكفار ، ودليل ذلك قوله : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ . قال ابن عباس : «اتبعوا المعاصي»[(٢)] . قال الكلبي : «يعني اللذات شرب الخمر وغيره»[(٣)] . المعنى : آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ، ويمكن الجمع بين القولين في الآية بأن يقال : ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني : المقصرين فيها في هذه الأمة ، ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ يعني : اليهود والنصارى والمجوس . فقد قال مقاتل في تفسيره : «استحلوا نكاح الأخت . ثم قال : ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ يعني تاب من التقصير في الصلاة ﴿وَءَامَنَ﴾ يعني : اليهود والنصارى»[(٤)] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٥ . الراجح ـ والله أعلم ـ أن مَن أخر الصلاة عن وقتها ، وترك فرضاً من فروضها ، أو شرطاً من شروطها ، أو ركناً من أركانها فقد أضاعها ، وإن كانت أنواع الإضاعات تتفاوت ، ويدخل في الإضاعة تركها أو جحدها دخولاً أوليّاً . انظر : جامع البيان ١٦/ ٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٣ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٠٨ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٢ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠٩ .

(٣) ذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٥/ ٢٤١ ، والزمخشري في كشافه ٢/ ٤١٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٩ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ١٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٨ ، والكشاف ٢/ ٤٠٥ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠٩ .

وقولــه تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «الغي : وادٍ في جنهم»[١] ، وهو قول ابن مسعود[٢] ، وأبي أمامة[٣] ، وشفي بن ماتع[٤][٥] ، ومجاهد[٦] ، ووهب[٧] ، وكعب[٨] . وعلى هذا قال أبو إسحاق : «جائز أن يكون نهراً وادياً أُعِدَّ للغاوين فسمي غياً»[٩] .

وروي عن ابن عباس في قوله : ﴿غَيًّا﴾ قال : «شرّاً وخيبةً»[١٠] . وهو قول ابن زيد[١١] . وقال الضحاك : «خسراناً وعذاباً»[١٢] . وعلى هذا القول ، معنى الغي

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٥ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٠٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٢ .

(٣) جامع البيان ٦/ ١٠٠ ، والمحرر الوجيز ١١/ ٤١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٠ .

(٤) شفي بن ماتع ، ويقال : ابن عبدالله الأصبحي ، أبو عثمان المصري ، تابعي ثقة ، روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة وغيرهما ، وروى عنه عقبة بن مسلم ، وأيوب بن بشير ، وأبو هاني وغيرهم ، وثقه العلماء وذكروه في كتب الثقات ، وكان عالماً حكيماً ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٠٥هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٥ ، والجرح والتعديل ٤/ ٣٨٩ ، والثقات لابن حبان ٤/ ٣٧١ ، والكاشف ٢/ ١٤ .

(٥) أضواء البيان ٤/ ٣٠٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٠ .

(٦) زاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠١ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، والكشف والبيان ٣/ ٩ أ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠١ .

(٨)] معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٥ .

(٩) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٦ .

(١٠) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ١٠٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٠٩ .

(١١) جامع البيان ١٦/ ١٠٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٥ .

(١٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٤ .

في اللغة : الفساد[١] . روى ذلك ثعلب عن ابن الأعرابي قال : «وقول الله تعالى : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ ؛ [طه :١٢١] أي فسد عليه عيشه»[٢] .

وذكر الزجَّاج وجهاً آخرَ في معنى الغي وهو أنه قال : «فسوف يلقون مجازاة الغي ، كما قال : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان :٦٨] ؛ أي مجازاة الأثام»[٣] .

ومعنى ﴿يَلْقَوْنَ﴾ هاهنا ليس بمعنى يرون فقط ؛ لأن اللقاء معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية[٤] .

٦٠. قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ . قال الزجَّاج : «﴿مَن﴾ في موضع النصب ، أي فسوف يلقون العذاب إلَّا التائبين . قال : وجائز أن يكون نصباً استثناء من غير الأول ، ويكون المعنى لكن مَن تاب»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ . قال ابن عباس : «يريد ولا ينقصون ثواباً»[٦] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (غوى) ٣/ ٢٧٠٦ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٩٩ ، والمفردات في غريب القرآن ٣٦٩ ، ولسان العرب ٦/ ٣٣٢٠ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (غوى) ٨٣/ ٢٧٠٦ ، ولسان العرب ٦/ ٣٣٢٠ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج :٣/ ٣٣٦ . الظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذه الأقوال متقاربة المعاني ، وذلك أن مَن فعل هذه الأفعال فسوف يلقى عذاباً عظيماً ، ومَن لقيه فقد لقي خسراناً وشرّاً حسبه به شرّاً . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٠١ ، وأضواء البيان ٤/ ٣١٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٦ .

(٦) ذكره من دون نسبة الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٠١ .

٦١. قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ بدل من قوله: ﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[١]. ومضى الكلام في معنى عدن[٢].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ قال ابن عباس: «يريد أنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت»[٣]. والمعنى أنهم لم يروها فهي غيب لهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ قال الكسائي: «لا بد من أن يؤتى عليه ومن أن يبلغ ويصار إليه. ولو كان آتياً لكان صواباً كما قال: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖ﴾ [الأنعام: ١٣٤] ولكن مأتياً لرؤس الآيات»[٤]. وقال الفرَّاء: «مأتياً ولم يقل آتياً؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة وأتت عليَّ خمسون سنة»[٥]. ونحو هذا في الزجَّاج سواء، ومثله بقولك: وصلت إلى خبر فلان، ووصل إليَّ خبر فلان[٦]. وذكر ابن جرير وجهاً آخرَ قال: «وعده في هذه الآية موعوده وهو الجنة، ومأتياً ما يأتيه أولياؤه وأهل طاعته»[٧].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٠، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٥، والدر المصون ٧/ ٦١٠.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/ ١٠١، والكشف والبيان ٣/ ٩ أ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٦، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣، وجامع البيان ٥/ ٨٠٤.

(٤) تهذيب اللغة (أتى) ١/ ١١٨، ولسان العرب (أتى) ١/ ٢٢.

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٠.

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٦.

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٠١.

٦٢. قوله تعالى : ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ .اللغـــو : الهدر من الكلام ، واللغو ما يلغـــى من الكلام ويؤثم فيه[١] . وقد تقـــدم القول في هذا[٢] . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «لغواً : باطلاً»[٣] .

وقال في رواية عطاء : «اللغو : كل ما لم يكن فيه ذكر الله»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ اســـتثناء من غير الجنس ، معناه : لكن يســـمعون سلاماً[٥] . قال ابن عباس : «يريد ذكر الله وما يثابون عليه»[٦][٧] . وقال المفسرون : «يُحيِّي بعضُهم بعضاً بالســـلام ، ويرســـل إليهم الرب الملائكة بالسلام»[٨] . قال الزجَّاج : «السلام[٩] : اســـم جامع للخير ؛ لأنه يتضمن السلامة . والمعنى : أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم وإنما يسمعون ما يسلمهم»[١٠] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (لغـــا) ٤/ ٣٢٧٥ ، ومقاييس اللغة (لغو) ٥/ ٢٥٥ ، والمفردات في غريب القرآن (لغا) ٤٥١ ، ولسان العرب (لغا) ٧/ ٤٠٤٩ .

(٢) عنـــد قولـــه تعـــالى : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة :٢٢٥] .

(٣) الدر المنثور ٤/ ٥٠٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ ، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٠٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٦ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٠٢ ، ومحرر الوجيز ٩/ ٤٩٦ ، والكشـــاف ٢/ ٤١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٢ ، والدر المصون ٧/ ٦١٣ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٣٥ .

(٦) في (س) : (يثابون عليه) من دون واو .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٣٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٢ .

(٨) جامـــع البيان ١٦/ ١٠٢ ، والنكـــت والعيون ٣/ ٣٨١ ، والمحرر الوجيـــز ٩/ ٤٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، وروح المعاني ١٦/ ١١٢ .

(٩) في (س) : (السلم) .

(١٠) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولكن على قدر ما يعرفون في الدنيا من الغداء والعشاء»[١] . [وقال الضحاك عنه : «يؤتون به على مقادير الليل والنهار»[٢] . وقال قتادة : «كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء][٣] أعجب به ، فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرةً وعشياً على قدر ذلك الوقت»[٤] . وقال الحسن : «كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء ، فذكر الله جنته فقال : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾»[٥] . وقال الزجَّاج : «ليس ثم بكرة ولا عشي ، ولكنهم خوطبوا بما يعقلون في الدنيا ، فالمعنى : لهم رزقهم في مقدار الغداة والعشي»[٦] . وهذا قول جميع أهل التأويل[٧] .

وقال أهل المعاني : «لهم رزقهم على مقادير أرِفَّة عيش في الدنيا ؛ لأن أَرِفَّة عيشها[٨] أن يكون الإنسان آكلاً بكرةً وعشياً كيف شاء ، فضرب الله ذلك مثلاً لرغد العيش في الجنة ، [وزمان الجنة][٩] كله نهار»[١٠] .

---

(١) الدر المنثور ٤/ ٥٠١ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ ، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٠٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣ ، وذكره من دون نسبة الطبري في جامع البيان ١٦/ ١٠٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٠٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٩/ ٤٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٠ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٧ .

(٧) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٠٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦ .

(٨) في نسخة (س) : (عيش) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(١٠) يشهد لهذا ما رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٧ ، قال : «وخرج الترمذي في نوادر =

٦٣. قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ في معنى إيراث الجنة قولان للمفسرين :

أحدهما : أن معناه ننزل . وهو قول الكلبي[(١)] . وجعل ذلك كالميراث من جهة أنه يملك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا .

القول الثاني : أن الله -تعالى- يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا[(٢)] . وقوله : ﴿مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ ؛ أي اتقى معصية الله وعقابه بالطاعة والإيمان .

= الأصول من حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة ، قالا : «قال رجل : يا رسول الله ، هل في الجنة من ليل ؟ قال : «وما هيجك على هذا ؟» قال : سمعت الله -تعالى- يذكر في كتابه : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ، فقلت : الليل بين البكرة والعشي . فقال رسول الله ﷺ : «ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح ، والرواح على الغدو ، وتأتيهم طرف الهدايا من الله -تعالى- لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة» ، وهذا في غاية البيان .
وقال العلماء : «ليس في الجنة ليل ولا نهار ، وإنما هم في نور أبداً إنما ، يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب» . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٤ ، والدر المنثور ٤/ ١٠٥ ، والفتاوى لابن تيمية ٤/ ٣١٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٤٠ .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠١ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١١٣ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ .

(٢) جامع البيان ٦/ ١٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠١ ، وروح المعاني ١٦/ ١١٣ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٤٢ : «قد جاء حديث يدل لما ذكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار ، إلَّا أن حمل الآية عليه غير صواب ؛ لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم ، كما قال تعالى : ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ونحوها من الآيات . ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلَّا ما أورثوا من منازل أهل النار ، والواقع بخلاف ذلك كما ترى» . انظر : روح المعاني للألوسي ١٦/ ١١٣ .

٦٤. قوله تعالى : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية . روي بطرق كثيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : «أن رسول الله ﷺ قال لجبريل : «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت هذه الآية جواباً لرسول الله ﷺ»[(١)] . وقال في رواية عطاء : «سأل المشركون رسول الله ﷺ عن ذي القرنين ، وعن أصحاب الكهف ، وعن الروح فقال : غداً أخبركم ، ولم يستثن ، وأبطأ عليه الوحي أربعين يوماً ، ثم نزل جبريل فقال : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف :٢٣ ، ٢٤] ، وقال رسول الله ﷺ : ألا[(٢)] زرتنا حين أبطأ عنا الوحي ، فأنزل الله : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ الآية»[(٣)] .

والمفسرون كلهم [في سبب نزول][(٤)] هذه الآية على هذا ، قالوا : «استبطأ رسول الله ﷺ جبريل ، ثم جاءه فقال رسول الله ﷺ : «يا جبريل ، إن كنت لمشتاقاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة مريم) ٦/ ١١٨ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/ ١٥ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٦١١ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي ، والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٤ ، والإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٣١ ، والطبراني في الكبير ١٢/ ٣٣ ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ١٠٣ ، والبغوي في معالم التنزيل : ٣/ ٢٠٢ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٠١ وزاد نسبته إلى مسلم ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي .

(٢) في (س) : (لازرتنا) .

(٣) أورده الطبري في جامع البيان ١٦/ ١٠٣ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٤٩٨ ، والماوردي في النكت ٣/ ٣٨١ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٠٢ ، وابن إسحاق في السيرة ١٨٢ ، والواحدي في أسباب النزول ٣٠٨ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٢ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

إليــك» . قال : وأنا والله يا محمد ، قد كنت إليك مشــتاقاً ، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست احتبست . وأنزل الله : ﴿وَمَانَتَنَزَّلُ﴾ الآية»[١] .

وقولــه تعــالى : ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ . قال ســعيد بن جبــير : «﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمــر الآخرة وما خلفنــا من أمر الدنيــا»[٢] . وهذا قول ســفيان ، وقتادة ، ومقاتل[٣] . وقال آخــرون : «﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الدنيا ، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآخرة»[٤] . وهذا قول السُّدِّي ، ومجاهد[٥] .

وقولــه تعالى : ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ .قال ســعيد بــن جبير : «ما بــين الدنيا والآخرة»[٦] . وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نجيح[٧] . وقال في رواية الليث :

---

(١) أورده بســنده ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٦/ ١٠٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٤٩٨ ، والبغــوي في معالم التنزيــل ٥/ ٢٤٣ ، وابن كثير في تفســيره ٣/ ١٤٥ ، قــال : «رواه ابن أبي حاتم رحمه الله ، وهو غريب» ، وذكره الســيوطي في الدر المنثــور ٤/ ٥٠٢ ، وعزاه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٠٨ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٩/ ٤٩٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، وتفســير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المســير ٥/ ٣٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٢ .

(٣) جامــع البيان ١٦/ ١٠٤ ، والنكــت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، والمحرر الوجيــز ٩/ ٥٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٠

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٢ .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٠ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، وزاد المســير ٥/ ٢٥٠ ، وتفســير القرآن العظيــم ٣/ ١٤٥ ، والجامع لأحكام القــرآن ١١/ ١٢٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٣٩ .

«﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ؛ ما بين النفختين»[١] . وهو قول السُّدِّي[٢] ، وقتادة[٣] ، وسفيان[٤] ، والربيع[٥] ، والضحاك[٦] ، وأبي العالية[٧] .

وقال أبو إسحاق : «﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة والثواب والعقاب ، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ؛ جميع ما مضى من أمر الدنيا ، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ؛ ما يكون منا في هذا الوقت إلى يوم القيامة»[٨] . وهذا هو الاختيار ؛ لأنه لم يجر للنفختين ذكر حتى يشار إليه[٩] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ .

(٣) جامع البيان ٦/ ١٠٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٢ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٠ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٠ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٠٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٠٤ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٠٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٢ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٧ .

(٩) قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٦/ ١٠٥ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال : معناه ما بين أيدينا من أمر الآخرة ؛ لأن ذلك لم يجئ ، وهو جاءٍ فهو بين أيديهم . وما خلفنا من أمر الدنيا وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم إياه ، (وما بين ذلك) ما بين ما لم يمضِ من أمر الدنيا إلى الآخرة ؛ لأن ذلك هو الذي بين الوقتين ، وإنما قلنا : ذلك أولى ؛ لأن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له» .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ : يريد الدنيا . يعني الأرض . ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ : يريد السماوات ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ : يريد الهواء»[١] . والمعنى : أن كل ما ذكر لله فلا نقدر على فعل إلَّا بأمره[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي»[٣] . وعلى هذا النسي بمعنى الناسي ، وهو التارك ، وقال السُّدِّي : «ما نسيك ربك»[٤] . [وذلك أن المشركين قالوا لمَّا أبطأ عنه الوحي : قد نسيه وودعه ، فنزل : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾][٥] ونزل : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى :٣] . وقال أبو إسحاق : «أي قد علم الله ما كان ، وما يكون ، وما هو كائن ، وهو حافظ لذلك لا ينسى منه شيئاً»[٦] .

٦٥. قوله تعالى : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؛ أي مالكهما ، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ؛ أي ومالك ما بينهما من خلقه . ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ ؛ أي وحده ؛ لأن عبادته بالشرك كلا عبادة . ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ ؛ قال ابن عباس : «لطاعته»[٧] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٩ ، وذكر من دون نسبة في معالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ .

(٢) في (س) : (الأمر) .

(٣) زاد المسير ٥/ ٢٥٠ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٠ من دون نسبة .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٢ ، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٧ .

(٧) ذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٩ .

وقال غيره : «اصبر على أمره ونهيه»[١] . ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ . قال في رواية الوالبي : «هل تعلم للرب مثلاً أو شبهاً ؟»[٢] . وهو قول مجاهد[٣] ، وسعيد بن جبير[٤] ، وابن جريج[٥] وعلى هذا السَّمي : عبارة عن المثل والشبيه .

وقال في رواية سماك : «هل تعلم أحداً اسمه الرحمن غيره ؟»[٦] . وهو قول السُّدِّي[٧] .

ودليل هذا القول قراءة ابن مسعود : «الرحمن هل تعلم له سمياً» .

وقال في رواية عطاء : «هل تعلم أحداً يسمى الله غيره ؟»[٨] . وهذا قول الكلبي[٩] .

وقال أبو إسحاق : «تأويله -والله أعلم- هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له : خالق ، وقادر ، وعالم بما كان وبما يكون ؟ فذلك ليس إلَّا من صفة الله»[١٠] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥١ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٠٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥١ ، وروح المعاني ١٦/ ١١٦ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٥ .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٠٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٠ .

(٨) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٠ .

(٩) النكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٤ ، والكشف والبيان ٣/ ١٠ أ .

(١٠) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٨ .

وعلى هذا ، لا سميٌّ لله في جميع أسمائه ؛ لأن غيره وإن سمي [بشيء من أسمائه فإنه غير مستحق للوصف به ، والله -تعالى- حقيقته ذلك الوصف . وقال مقاتل : «لا يسمى باسم الله غير الله ، لمَّا حاول المشركون التسمية بالله قالوا : اللات ، وقالوا في العزيز : العزى»[(١)] .

٦٦. قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ؛ يعني الكافر الذي لا يؤمن بالبعث إذا مات[(٢)] .

﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ . يقول ذلك استهزاءً وتكذيباً منه بالبعث . قال ابن عباس في رواية عطاء : «نزلت في الوليد بن المغيرة»[(٣)] . وقال في رواية الكلبي عن أبي صالح : «نزلت في أُبي بن خلف حين أخذ عظاماً باليةً يفتها بيده ويقول : زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نموت»[(٤)] .

وقال صاحب النظم : «اللام في قوله : ﴿لَسَوْفَ﴾ لام تأكيد يؤكد بها ما بعدها من الخبر ، وهذا الإنسان كافر لا يؤمن بالبعث ، والكلام محكي عنه فلِمَ حكي عنه بالتأكيد وهو منكر له ؟ ومَن أنكر شيئاً لم يؤكده ؟ . قال : والجواب أن هذا من باب الحكاية والمجازاة . كأن النبي ﷺ قال له : لسوف تخرج بعد الموت حيّاً ، فقال حاكياً ومعارضاً لكلامه : ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ، ولا يذهب مذهب التأكيد ، وإنما يذهب مذهب الحكاية والمعارضة والمجازاة لكلامه ، كما تقول

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٠ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٢ ، والكشاف ٢/ ٥١٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥١ .

(٢) في (س) : (إذا مات) .

(٣) زاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٦ ، وروح المعاني ١١٦/١٦ .

(٤) بحر العلوم ٢/ ٣٢٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٠٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣١ .

العرب : رأيت زيداً ، فيقول السامع : مَن زيداً ؟ وإذا قال : مررت بزيدٍ ، قال : مَن زيدٍ ؟ بالخفض أتبعوا آخر الكلام أوله على الحكاية والمجازاة»[١] .

٦٧. فقال الله -تعالى- مجيباً لذلك الكافر : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ﴾ ؛ أي هذا الذي جحد البعث أو لا يتذكر أول خلقه فيستدل[٢] بالابتداء على أن الإعادة مثله ، وهو قوله : ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ؛ أي من قبل إنكاره البعث خلقناه ولم يكن شيئاً ، كذلك نعيده كما قال : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس :٧٩] . وقُرئ : يذكر بالتشديد ، والتخفيف[٣] . والتشديد في هذا المعنى أكثر ؛ لأنه يراد به التدبُّر والتفكر وليس ذكراً عن نسيان ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر :٣٧] ، وقال : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد :١٩] ، [الزمر :٩] وإضافته إلى أولي الألباب يدل على أن[٤] المراد به النظر والتفكر ، وزعموا أن في حرف أبي : (تتذكر) بالتاء[٥] . والمعنى : أو لا يتدبر ويتفكر هذا الجاحد في أول خلقه . ومَن قرأ بالتخفيف من الذكر أراد هذا المعنى أيضاً ، وقد ترد الخفيفة أيضاً بهذا المعنى كقوله : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ [المزمل :١٩] ،

---

(١) ذكر نحوه في الكشاف ٢/ ٤١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٧ ، والدر المصون ٧/ ٦١٧ .

(٢) في نسخة (س) : (فاستدل) .

(٣) قرأ عاصم ، ونافع ، وابن عامر ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ﴾ ساكنة الذال خفيفة . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي (أو لا يذَّكَّر الإنسان) بفتح الذال مشددة الكاف . انظر : السبعة ٤١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٤ ، وحجة القراءات ٤٤٥ ، والتبصرة ٢٥٦ ، والنشر ٢/ ٣١٨ .

(٤) قوله : (أن) :ساقط من نسخة (س) .

(٥) المحرر الوجيز ٩/ ٥٠٦ ، والكشاف ٢/ ٤١٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٤ .

[الإنسان :٢٩] ، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر :٥٥] ، [عبس :١٢] . ثم أقسم أنه يحشرهم .

٦٨. فقال : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ ؛ أي لنجمعنهم في المعاد . قال الكلبي : «يعني الذين أنكروا البعث»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ ؛ أي ولنحشرن الشياطين قرناء معهم . قال المفسرون : «يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة»[(٢)] . وذلك أن ذكر حشر الشياطين مع حشرهم يدل على أنهم يجمعون معهم .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ . قال المفسرون : «في جهنم»[(٣)] . وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون خارجه ، ويجوز أن يكون داخله . يقال : جلس القوم حول البيت ، وحوالي البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به . قال ابن الأنباري : «ويجوز : يجثون حول جهنم قبل أن يدخلوها»[(٤)] .

وقوله تعالى :﴿جِثِيًّا﴾ ؛ مستوفزين على الركب . قاله مجاهد ، وسفيان[(٥)] . وقال السُّدِّي : قياماً[(٦)] . أراد قياماً على الركب ؛ وذلك لضيق المكان لا يمكنهم أن يجلسوا ولا أن يقوموا أيضاً . وهو جمع : جاثٍ من قولهم : جَثَا على ركبته[(٧)]

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٥٠٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٤ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، والكشاف ٢/ ٤١٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٨ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٣ .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤١٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢ ، والكشف والبيان ٣/ ١٠ ب .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٨ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٤ .

(٧) في (س) : (ركبتيه) .

يَجْثُــو جُثُواً فهو جَاثٍ[١] . قال الله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية :٢٨] . ويجمع الجَاثِي جُثِيّاً كما قلنــا في البكي ، وأصله فعول . وقد تقــدم القول فيه[٢] . وقال ابن عباس في قوله :﴿جِثِيًّا﴾ : «جماعات جماعات»[٣] .

وهو قول مقاتــل ، والكلبي[٤] . وعلى هذا ، الجُثِي جمع جَثْوَة وجُثْوَة ، وهي المجموع من التراب والحجارة ، ومنه قول طرفة[٥] :

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِـنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِــحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْــحٍ مُنَضَّدِ

والأول اختيار الزجَّاج ، وأبي عبيدة[٦] .

٦٩. وقولــه تعــالى : ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ ؛ أي لنأخــذن ولنخرجن ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ ؛ من كل فرقة وجماعة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ ؛ أي الأعتى فالأعتى منهم ، كأنه يبدأ بالتعذيب بأشــدهم ، ثم الذي يليه . قال أبو

---

(١) جثــا : جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها . انظر : تهذيب اللغة (جثا) ١/ ٥٣٨ ، والصحاح (جثا) ٦/ ٢٢٩٨ ، والمفردات في غريب القرآن (جثا) ٨٨ ، ولسان العرب (جثا) ١/ ٥٤٦ .

(٢) عند قوله تعــالى : ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم :٥٨] .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وزاد المســير ٥/ ٢٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٨ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٣ ، والكشف والبيان ٣/ ١٠ ب .

(٥) البيت لطرفة بن العبد من قصيدة قالهــا يصف فيها قبري أخوين : غني وفقير . انظر : شرح القصائد العــشر للتبريزي ١٠٨ ، وتهذيب اللغة (جثا) ١/ ٥٣٨ ، ولســان العــرب (جثا) ١/ ٥٤٦ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٩٠ .

(٦) معــاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٣٨ ، ومجــاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٩ . قال الشــنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٤٦ : «إنه جثيهم عــلى ركبهم ، وهو الظاهر ، وهو قول الأكثرين ، وهو الإطلاق المشــهور في اللغة» .

الأحوص[١] : «يبدأ بالأكابر فالأكابر جرماً»[٢] . وقال قتادة : «لننزعن من كل أهل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر»[٣] . ونحو هذا قال الكلبي في تفسير : ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ : قال : «قائدهم ورأسهم في الشر»[٤] . والعتي هاهنا مصدر كالعتو ، وهو التمرد في العصيان[٥] . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «أيهم أشد عصياناً»[٦] . وقال في رواية عطاء : «أيهم أعظم فرية»[٧] . وقال مقاتل : «أيهم أشد علواً في الكفر»[٨] .

---

(١) سلام بن سليم الكوفي ، أبو الأحوص ، عالم في اللغة والتفسير ، صدوق ، زاهد ، وثقه العلماء ، وأثنوا عليه ، توفي ـرحمه اللهـ سنة ١٩٩هـ . انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ١٧٦ ، والكاشف ٣/ ٢٦٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٠ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٨٢ ، وطبقات الحفاظ ١٠٦ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٠٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ١٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٩١ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، والكشف والبيان ٣/ ١٠ ب .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عتا) ٣/ ٢٣١٣ ، ومعجم مقاييس اللغة (عتو) ٤/ ٢٢٥ ، والمفردات في غريب القرآن (عتا) ٣٢١ ، ولسان العرب (عتا) ٥/ ٢٨٠٤ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٠٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٤ .

(٧) الكشف والبيان ٣/ ١٠ ب ، واللغات في القرآن ٣٤ .

(٨) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٠٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٦ .

وقال الكلبي : «يعني جراءة بالفرَّاء والكذب»[١] . وقال مجاهد : «كفراً»[٢] . قال أبو إسحاق : «فأمَّا رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ فهي القراءة ، ويجوز (أيَّهُم) بالنصب ، حكاها سيبويه وذكر : أنها قراءة هارون الأعور»[٣][٤] .

وفي رفعها ثلاثة أقوال : قال يونس : قوله : ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ معلقة لم تعمل شيئاً ، ثم استأنف فقال : ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ .ومثله عنده قول الشاعر[٥] :

وَلَقَدْ أَبِيْتُ مِن الفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيْتُ لا حَرِجٌ ولا مَحْرُوْمُ

والمعنى : فأبيتُ بمنزلة الذي يقال له : لا هو حرج ولا محروم[٦] . وقال سيبويه : ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبنية على الضم ؛ لأنها خالفت أخواتها ، واستعمل معها حذف الابتداء تقول : اضرب لأيهم أفضل ، تريد أيهم هو أفضل [فيحسن الاستعمال

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٨٣ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٠٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٤ ، وروح المعاني ١٦/ ١١٩ .

(٣) هارون بن موسى بن شريك الدمشقي ، أبو عبدالله التغلبي ، شيخ المُقرئين بدمشق في زمانه ، وكان من أهل الفضل ، قرأ على ابن ذكوان ، وحدَّث عنه خلق كثير ، ورحل إليه الطلبة من الأقطار لإتقانه وتبحره ، صنَّف في القراءات والعربية ، وإليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان . انظر : طبقات النحويين للزبيدي ٢٦٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٩ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٤٧ ، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٤٧ ، وشذرات الذهب ٢/ ٢٠٩ ، ومعرفة القراءة الكبار ١/ ٢٤٧ .

(٤) الكتاب ١/ ٢٥٩ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٩٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٥٧٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ١٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٣ .

(٥) البيت للأخطل ، وصدره في ديوانه :

ولقدْ أكونُ منَ الفتاةِ بمنزلٍ

انظر : ديوانه ٨٤ ، والكتاب ١/ ٢٥٩ ، والخزانة ٢/ ٥٥٣ ، والإنصاف ٢/ ٥٧٢ ، والإغفال للفارسي ٩٩٥ ، والدر المصون ٧/ ٦٣١ .

(٦) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٩٥ ، وإعراب القرآن للنحاس : (٢٢٣ / ١٢) ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٦ ، والدر المصون ٧/ ٧٢١ .

بحذف هو ، ولا يحسن : اضرب من أفضل ، حتى تقول : مَن هو أفضل][1] ، ولا يحسن : كل ما أطيب ، حتى تقول : ما هو أطيب ، ولا تقول أيضاً : خذ الذي أفضل ، حتى تقول : الذي هو أفضل ، فلمَّا خالفت ما ، ومَن ، والذي هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة ، والنصب حسن ، وإن كنت قد حذفت هو ؛ لأن هو قد يجوز حذفها ، وقد قُرئ : (تماماً على الذي أحسُن) [الأنعام :١٥٤] على معنى الذي هو أحسن»[2] . انتهت الحكاية عن أبي إسحاق[3] .

وذكرنا أحكام (أي) في قوله : ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء :١١٠] وفي مواضع . واعلم أن (أيّاً) من الأسماء الموصولة [كمَن ، وما ، والذي ، إلَّا أن العرب قد استعملت حذف الراجع إلى الموصول][4] مع (أي) أكثر من استعمالهم مع الذي ، وقد شرح أبو علي الفارسي ما ذكره أبو إسحاق فقال : «ينبغي أن يكون مراد يونس أن الفعل معمل في موضع كل شيعة ، وليس يريد أنه غير معمل في شيء ألبتة ، والدليل على ذلك أنه قال فيه : إن ذلك معلق . ولفظ التعليق إنما يستعمل في ما يعمل في الموضع دون اللفظ ، ألا تراهم قالوا في علمت أزيد في الدار : إن الفعل معلق وهو معمل في موضع الجملة ، وكذلك إذا قال هنا : معلق ، كان معملاً في موضع الجار والمجرور ، ولو أراد أنه لا عمل له في لفظ لقال : ملغى ، ولم يقل : معلق ، كما تقول في زيد ظننت منطلق ، فقوله فيه : معلق ، دلالة على مراده فيه أنه عامل في الموضع ، وإن لم يكن عاملًا في اللفظ ، وإذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس ؛ لأن الكسائي قال : إن قوله :

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/ ٣٩٨ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٧٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٣ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني : ص ٩٩٧ ، والدر المصون ٧/ ٦٢١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٠ ، قال : «والذي أعتقده أن القول في هذا قول الخليل ، وهو موافق للتفسير ؛ لأن الخليل كان مذهبه أو تأويله في قوله : ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الذي من أجل عتوه يقال : أي هؤلاء أشد عتياً . فيستعمل ذلك في الأشد فالأشد» .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ كقولك : أكلت من طعام[١] ، فإذا كان كذلك كان ﴿أَيُّهُمْ﴾ منقطعاً من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة ، لا يجيء[٢] هذا على مذهب سيبويه ؛ لأنه لا يرى في مَن مثل ما رآه الكسائي من زيادته في الإيجاب ، فإن قال قائل : لِمَ زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم ؟ قيل : إن الصلة تبين الموصول وتوضحه ، كما أن المضاف يبين المضاف إليه ويخصصه ، فكما أنه لمَّا حذف المضاف إليه من الأسماء التي تبينها الإضافة نحو : قبل ، وبعد بنيت ، كذلك لمَّا حذفت العائد من الصلة إلى الموصول هنا بنيت» . وأطال أبو علي الكلام في هذه المسألة[٣] . وليس يليق بهذا الكتاب أكثر مما حكينا[٤] .

٧٠. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ .الصِّلي : مصدر صَلَى النار ، صَلاهَا ، صُلِيّاً ووزنه فعول ، ويجوز فيه صِلِياً بالكسر وقد تقدم القول فيه . ومعنى الصِّلي : دخول النار ومقاساة حرها وشدتها . نعوذ بالله منها .

قال أبو إسحاق : «أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد عتياً ، فهم أولى بها صلياً»[٥] . يعني أن الأولى بها صلياً الذين هم أشد عتياً ، فهؤلاء هم الأولى بالنار صلياً على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم ؛ لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة .

---

(١) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٩٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٢ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٦ ، والدر المصون ٧/ ٦٢١ .

(٢) في (س) : (لا يجوز) .

(٣) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني لأبي علي الفارسي : ص ٩٩٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٢ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٦ ، والإنصاف ١/ ٥٧٣ ، والدر المصون ٧/ ٦٢١ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٠ .

٧١. قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ ؛ أي وما منكم أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ؛ وارد جهنم . ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ ورودكم ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ . والحتم إيجاب القضاء ، والقطع بالأمر ، ويقال : كان ذلك الأمر حتماً ؛ أي موجباً ، ويقال للأقضية والأمور التي قضى الله بكونها : الحتوم ، قال أمية :

حَنَانَيْ رَبِّنَا وَلَهُ عَنَوْنَا بِكَفَّيْهِ المَنَايَا وَالحُتُومُ[١]

وقوله تعالى : ﴿مَّقْضِيًّا﴾ ؛ أي قضاه الله عليكم .

قال ابن مسعود في قوله : ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ : «قسماً واجباً»[٢] . وكان الإجماع أن هذه الآية قسم من الله بورود النار ، وموضع القسم قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ الآية . وهذه الآية[٣] ترجع إلى ما قبلها بالعطف ، وهي داخلة في الجملة المقسم عليها ، وقيل : القسم مضمر بتقدير : وإن منكم والله إلَّا واردها كقوله : ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء :٧٢] [المعنى : والله لمن ليبطئن][٤] فأضمر[٥] . وأكثر الناس على الحكم بظاهر هذه الآية ، وهو أن الخلق كلهم يرد النار ، ثم ينجي الله المؤمنين[٦] .

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت . انظر : لسان العرب (حتم) ٢/ ٧٧١ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١١٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٥ ، وابن كثير ٣/ ١٤٦ .

(٣) قوله : (وهذه الآية) : ساقط من نسخة (س) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٦٢٥ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٥٤ : «الذي يظهر لي -والله أعلم- أن الآية ليس يتعين فيها قسم ؛ لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم ، ولا قرينة واضحة دالة على القسم ، ولم يتعين عطفها على القسم ، والحكم بتقدير قسم من كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه ، وأقرب أقوال مَن قالوا : إن في الآية قسماً ، قول مَن قال : إنه معطوف على قوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ لدلالة قرينة لام القسم في الجمل المذكورة على ذلك ، أمَّا قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فهو محتمل للعطف أيضاً ، ومحتمل للاستئناف ، والعلم عند الله تعالى» .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١١٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٨ .

روي عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «يرد الناس جهنم[١] ثم يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كالبرق ، ثم كالريح ، ثم كأجود الخيل ، ثم كالراكب في رجله ، ثم كشد الرَّجل ، ثم كمشيه»[٢] . وقال ابن عباس في هذه الآية : «الورود الدخول ، وأخذ بيد مجاهد وقال : أمَّا أنا وأنت فسندخلها»[٣] . وخاصمه نافع بن الأزرق فقال : «إن الشيء ربما ورد الشيء ولكن لا يدخله ، فقال ابن عباس : يا ابن الأزرق ، أمَّا أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل ينجينا الله منها بعد أم لا»[٤] .

وسُئل جابر - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلَّا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم»[٥] .

---

(١) لفظ : (جهنم) ساقط من نسخة (س) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/ ١٦ح ٣١٥٩ ، وقال : «حديث حسن» ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٧٥ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي ، وأحمد في مسنده ١/ ٤٣٣ ، والدرامي في كتاب الرقائق ، باب في ورود النار ٢/ ٣٢٩ ، وأخرج نحوه البخاري في كتاب الرقائق ، باب الصراط جسر جهنم ٨/ ١٤٦ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٨٧ ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤٧ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١١ ، وجامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٢٩ ، ورجاله ثقات غير أبي سمية قال عنه الحافظ : «مقبول» ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب البعث ، باب ما جاء في الصراط والميزان والورود ١٠/ ٣٦٠ ، وقال : «رواه أحمد ورجاله ثقات» ، وابن حجر في الكافي الشاف ١٠٧ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٧ ، وقال : «غريب ولم يخرجوه» . وكذلك القرطبي في جامعه ١١/ ١٣٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٠٥ ونسبة إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وعبد بن حميد . قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان ٤/ ٣٥١ بعد ذكره هذا الحديث : «أبو سمية قد ذكره ابن حبان في الثقات ، وبتوثيق أبي سمية المذكور تتضح صحة الحديث ؛ لأن غيره من رجال الإسناد ثقات معروفون ، مع أن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبالآيات الأخرى التي استدل بها ابن عباس ، وآثار جاءت عن =

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «يرد الناس جميعاً نار جهنم ، وكان قسماً من ربنا وحتماً مقضياً تخلف فيها أهل الشرك وهم ظالمون ، وأقام أهل الصلاة والإيمان فيها بقدر أعمالهم ، ونادى المنادي فقال : إن الله يقول ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فخرجوا واحترق بعضهم» . وذكر حديثاً طويلاً[1] . وهذا الذي ذكرنا مذهب أهل السُّنة ، واحتجوا من طريق اللفظ بأن قالوا : جرى ذكر الكافرين ، ثم قال بعد : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، فنظم الكلام أوجب أن هذا عام ، والورود بمعنى الدخول قد أتى في التنزيل قال الله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء :٩٨] ، ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء :٩٩] ويراد بالورود هاهنا : الدخول ، وقال تعالى : ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود :٩٨] ؛ ولأن الله -تعالى- قال في ما بعد : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ ، والنجاة لا تكون إلَّا مما دخلت فيه ؛ ولأنه قال : ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، ولم يقل وندخل الظالمين ، ونذر : نترك الشيء وقد حصل في مكانه .

= علماء السلف رضي الله عنهم ، كما ذكره ابن كثير عن خالد بن معدان ، وعبدالله بن رواحة ، وذكره ابن جرير عن أبي ميسرة ، وذكره ابن كثير عن عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري ، كلهم يقولون : إنه ورود دخول» .

(١) لم أقف عليه ، وذكرت كتب التفسير نحوه مختصراً . انظر : جامع البيان ١٦/ ٨٣ ، ومعالم التنزيل ٣/ ٢٠٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٠ ، والمحرر الوجيز ١١/ ٤٨ ، والكشف والبيان ٣/ ١١ أ .

وروى الحسن بن مسلم[١] عن عبيد بن عمير في هذه الآية قال: «ورودها حضورها»[٢]. وروى يزيد النحوي[٣] عن عكرمة في هذه الآية قال: «الورود الدخول»[٤]. وبكى عبدالله بن رواحة لَمَّا نزلت هذه الآية وقال: «إني علمت أني وارد النار فما أدري أناجٍ منها أم لا»[٥]. هذا هو الكلام في الورود، ثم الله -تعالى- قادر بلطفه أن يسلِّم المؤمنين منها إذا وردوها حتى يعبروها ويخرجوا منها سالمين كما ذكرنا في حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «فتكون على المؤمن برداً وسلاماً»[٦].

---

(١) الحسن بن مسلم بن يناق المكي، روى عن صفية بنت شيبة، وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وروى عنه ابن جريج، وأبان بن صالح، وإبراهيم بن نافع وغيرهم، وهو ثقة ثبت، توفي -رحمه الله- سنة ٩٨هـ، وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢٢، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٦١، والكاشف ١/ ٢٢٧، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٢٥.

(٢) زاد المسير: ٥/ ١٧٨، وذكر البغوي في تفسيره: ٣/ ٢٠٤ من دون نسبة.

(٣) يزيد بن أبي سعيد النحوي، أبو الحسن القرشي مولاهم، المروزي، من بني نحو بطن من الأزد، روى عن سليمان بن بريدة، وعكرمة مولى بن عباس، ومجاهد وغيرهم، وروى عنه الحسن بن رشيد، والحسين بن واقد، ومحمد بن بشار وغيرهم، وثقه العلماء، وكان متقناً، من العباد، تقياً من الرفعاء، تالياً لكتاب الله، عالماً بما فيه، قُتل سنة ١٣١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٨، واللباب ٣/ ٣٠١، والكاشف ٣/ ١٧٨، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٢، والأنساب للسمعاني ٥/ ٤٦٩، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٤٣.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٨٤ من دون نسبة، وكذلك البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٤٦.

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١١، وجامع البيان ١٦/ ١١٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧، وزاد المسير ٥/ ٢٥٥.

(٦) سبق تخريج الحديث وعزوه.

وقال خالد بن معـــدان : «إذا جاز المؤمنون الصراط قال بعضهم لبعض : ألم يعدنا ربنا أن نمر على جسر النار ، فيقولون : بلى ، ولكنا مررنا عليها وهي خامدة لمرورنا»[١] .

وقال أشعث الجذامي : «بلغني أن أهل الإيمان إذا مروا بصراط جهنم تقول لهم : جوزوا عني قد بردتم وهجي ، ذروني لأهلي»[٢] .

وروي أن النبي ﷺ قال : «تقول النار للمؤمـــن يوم القيامة : جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لهبي»[٣] .

(١) جامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٦ ، وتفســير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٥ .

(٢) ذكرت نحوه كتب التفســير من دون نســبة . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤١ ، وروح المعاني ١٦/ ١٢٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٦ .

(٣) أخرجــه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٣٢٩ ، والقرطبي في تذكرته ٢٣٤ ، والطبراني في الكبير ٦٦٨ ، وأورده الهيثمــي في مجمع الزوائد في كتــاب البعث ، باب ما جاء في الميزان والــصراط والورود ١٠/ ٣٦٠ ، وقال : «رواه الطبراني ، وفيه ســليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف» ، وأورده البغوي في تفســيره ٣/ ٢٠٥ ، والســيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٢ ، وأورده الألباني في السلســلة الضعيفة : (٣٤١٣) ، والحديث بطرقه جميعها ضعيف فيه بشير بن طلحة ضعيف ، وخالد بن دريك لم يسمع من يعلى بن منبه فهو منقطع ، وكذلك سليم بن منصور ضعيف .

وروى عثمان بن الأسود عن مجاهد في هذه الآية قال : «مَن حمَّ من المسلمين فقد وردها»[(١)] . لأن الحمَّى من فيح جهنم . قال رسول الله ﷺ : «الحمى كير من جهنم ، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار في الآخرة»[(٢)(٣)] .

وقال قوم : «إن هذا إنما يعني به المشركين خاصة»[(٤)] . واحتجوا بقراءة بعضهم : (وَإِن مِّنهمْ إِلَّا وَارِدُهَا)[(٥)] . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[(٦)] . ويكون على مذهب هؤلاء معنى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ نخرجهم من جملة مَن يدخل النار .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١١١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٥ ، ومعالم التنزيل ٣/ ٢٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٥٢ عن أبي أمامة رضي الله عنه ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣٠٥ ، وقال : «رواه أحمد وفيه أبو حصين الفلسطيني ولم أرَ له راوياً غير محمد بن مطرف» ، وأخرج نحوه البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب الحمى من فيح جهنم ٥/ ٢١٦٢ ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام ، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ٤/ ١٧٣٢ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطب ، باب الحمى ٢/ ١١٤٩ ، والدرامي في كتاب الرقائق ، باب الحمى من فيح جهنم ٢/ ٢٢٤ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٤٥ ، وقال : «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي» ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ١١١ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٤٩ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ .

(٣) قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان ٤/ ٣٥٢ بعد ذكره هذا القول : «وأجابوا عن الاستدلال بحديث «الحمى من فيح جهنم» قالوا : الحديث حق صحيح ، ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع ؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة وليس في حرارة منها في الدنيا ؛ لأن أول الكلام قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ إلى أن قال : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى» .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٨ .

(٥) قرأ بها ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٥١١ ، والكشاف ٢/ ٤١٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٨ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٠ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٨ .

وقال ابن زيد : «الورود عام لكل مؤمن وكافر ، غير أن ورود المسلمين على الجسر ، وورود الكافرين أن يدخلوها»[(١)] . وهذا يروى عن الحسن ، وقتادة أنهما قالا : «ورودها ليس دخولها»[(٢)] .

قال أبو إسحاق : «وحجتهم في ذلك قوية من جهات ؛ إحداها : أن العرب تقول : وردت ماء كذا ولم تدخله ، ووردت بلد كذا إذا أشرف عليه ولم يدخله ، قال : والحجة القاطعة عندي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء :١٠١ ، ١٠٢]»[(٣)] . ومَن قال بالقول الأول قال في هذه الآية : «وهم عن مكروهها مبعدون ؛ لأنه لا ينالهم أذاها ووهجها إذا وردوها»[(٤)] .

٧٢. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد اتقوا الشرك وصدقوا بنبيي»[(٥)] . ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . قال : «يريد المشركين

---

(١) زاد المسير ٥/ ١٧٨ ، وذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٢٠٤ من دون نسبة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٩ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤١ .

(٤) الراجح ـ والله أعلم ـ القول الأول . قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ١٦/ ١١٤ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار ، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناجٍ مسلم ومكدس فيها» . وقال البغوي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٥/ ٢٤٩ : «والأول أصح ، وعليه أهل السُّنة أنهم جميعاً يدخلون النار ، ثم يخرج - الله عز وجل - منها أهل الإيمان ، بدليل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ ؛ أي اتقوا الشرك ، وهم المؤمنون ، والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت» . وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان ٤/ ٣٥٢ بعد ترجيحه هذا القول : «وأجاب مَن قال : بأن الورود في الآية الدخول عن قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ بأنهم مبعدون عن عذابها وألمها ، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حر منها» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٩ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٤٤ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٥٠ .

(٥) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٢ أ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٧ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٧٦ .

والكفار والمنافقين»[١] . ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ ؛ قيل : على الركب ، وقيل : جميعاً ، وقد مرَّ قبل ذلك[٢] .

٧٣. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني : على المشركين ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يريد القرآن ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ؛ مشركو قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الفقراء المؤمنين :][٣] ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ ؛ أنحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ .وقُرئ : (مُقَاماً) بالضم[٤] . وهما المنزل والمسكن ، وكذا قال المفسرون[٥] .

والمَقَام بالفتح المصدر واسم الموضع جميعاً ، وفَعَلَ يَفْعُل المصدر واسم الموضع منه على مَفْعَلٍ نحو : قَتَلَ يَقْتُل ، مَقْتَلاً ، وهذا مَقْتَلُ فلان ، وأمَّا المُقَام بالضم فيصلح أن يكون بمعنى الإقامة فعول أقَمْت مُقَاماً كما تقول : أقَمْت إقَامَة ، ومكان الإقَامَة مُقَام أيضاً ، وكذلك ما زاد من الأفعال على ثلاثة أحرف بحرف زائد أو أصلي فالمصدر اسم الموضع يكون منه على مفعل[٦] . والمَقَام والمُقَام في هذه الآية يراد به المكان كما ذكرنا .

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٣١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٤٥ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم :٦٨] .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) قرأ ابن كثير المكي (خير مُقاماً) بضم الميم ، وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ بفتح الميم . انظر : السبعة ٤١١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٥ ، والتبصرة ٢٥٦ ، الغاية في القراءات ٣١٧ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١١ ، وجامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥١٦ .

(٦) انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٧ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٦ ، والدر المصون ٧/ ٦٢٨ .

قال الأخفش : «يقال للمَقْعد المَقام وللمشـــهد المَقام»[١] . ومنه قوله تعالى : ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل :٣٩] ؛ أي من مشهدك . وقد يكون المقام حيث يقوم الإنسان كقول الراجز[٢] :

هَذَا مُقَامُ قَدَمَيْ رَبَاحِ

أي موضع قيامه .

وقوله تعـــالى : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ .النديّ فعيل بمعنـــى الفاعل وهو المجلس ، وكذلك النادي ، يقال : نَدَوْتُ القوم ، أَنْدُوهم نَدْواً إذا جمعتهم ، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه : النَّادِي ، والنَّادِي لا يسمى نَادِياً حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا لا يكون نَادِياً ومن هذا قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت :٢٩] ، ولذلك ســـميت دار النَّدْوة بمكة ، كانـــوا إذا حزبهم أمر نَـــدَوا إليها فاجتمعوا للتشاور ، وأُنَادِيك أشاورك ، وأجالسك من النَّادِي[٣] . قال كُثَيِّر :

أُنَادِيْكَ مَا حَجَّتْ حَجِيْجٌ وكبَّرتْ بِفَيْفَـــا غَـــزَالٍ رُفْقَـــةٌ وَأَهَلَّـــتِ[٤]

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٦ .

(٢) هذا صدر بيت لقطرب ، وعجزه :

ذَبَّبَ حَتى دَلَكَتْ بَرَاحِ

البَرَاحِ : الشـــمس . ومعنى البيت : أن الشمس قد غربت وزالت ، فهم يضعون راحاتهم على عيونهم ينظرون هل غربت أو زالت . انظر : الحجة للقراء الســـبعة ٥/ ٢٠٨ ، والنوادر ٣١٥ ، ولسان العرب (برح) ١/ ٢٤٥ .

(٣) تهذيب اللغـــة (ندا) ٤/ ٣٥٤٣ ، والصحاح (نـــدا) ٦/ ٢٥٠٥ ، والمفردات في غريـــب القرآن (ندا) ٤٨٧ ، ولسان العرب (ندى) ٧/ ٤٣٨٧ .

(٤) البيت لكثير . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٨ ، والمنصف ٢/ ١٨٠ .

والمعنى : أن المشركين قالوا للفقراء المؤمنين : أنحن أم أنتم أعظم شأناً ، وأعز مجلساً في قومه ؟ افتخروا عليهم بمساكنهم ، ومجالسهم وحسن معاشهم[١] .

٧٤. فقال الله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ . قال الليث : «الأثاث : أنواع المتاع من متاع البيت ونحوه»[٢] .

وقال أبو زيد : «الأثاث المال أجمع ؛ المال ، والإبل ، والغنم ، والعبيد ، والمتاع . قال : وواحدتها أثاثة»[٣] .

وقال الفرَّاء : «الأثاث لا واحد له ، كما أن المتاع لا واحد له»[٤] . قال ابن عباس ، والسُّدِّي : «الأثاث المال»[٥] .

وقال قتادة : «﴿أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ : أكثر أموالاً»[٦] . وقال الحسن : «الأثاث : اللباس»[٧] .

وقال مجاهد : «الأثاث : المتاع والزينة»[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١١٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٦ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٥٧ .

(٢) تهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨ .

(٣) تهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٩ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١١٦ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ٣٨٦ من دون نسبة ، وكذلك ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٣٨ .

(٧) ذكر في كتب التفسير من دون نسبة .
انظر : جامع البيان ١٦/ ١١٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٩ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ١١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٩ .

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿أَحْسَنُ أَثَثًا﴾ قال : «مثل الدَّرَانِيك[١] ، والطَّنَافِس»[٢][٣] . وأصل الحرف من قولهم : أَثَّ النبات يَئِثُّ أَثَاثَةً إذا كثر والتف ، ويوصف به الشعر[٤] ، ومنه قوله[٥] :

أَثِيث كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِلِ

وقوله تعالى : ﴿وَرِءْيًا﴾ .قال أبو إسحاق : «منظراً من (رأيت)»[٦] .

قال أبو علي : «رِئْيٌ فعل من رأيت ، وكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر ، إنما المصدر الرأي والرؤية ، ومنه قوله : ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران :١٣] . فالرأي الفعل ، والرِئي المرئي كالطَّحْنِ والطِّحْن ، والسَّقي والسِّقي ، والرَّعْي

---

(١) الدَّرْنِيك : ضرب من الثياب أو البساط ، له خمل قصير كخمل المناديل ، ويشبه فروة البعير والأسد . انظر : تهذيب اللغة (درنك) ٢/ ١١٨١ ، ومقاييس اللغة (الدرنوك) ٢/ ٣٤١ ، والصحاح (درنك) ٤/ ١٥٨٣ ، ولسان العرب (درنك) ٣/ ١٣٦٩ .

(٢) الطَّنْفُسَة (بضم الفاء) : البساط الذي له خمل رقيق ، ويقال للإنسان إذا لبس الثياب الكثيرة : مطنفس . انظر : تهذيب اللغة (طنفس) ٣/ ٢٢٢٤ ، ولسان العرب (طفنس) ٥/ ٢٧١٠ ، والقاموس المحيط (طنفس) ٢/ ٥٩٦ .

(٣) ذكر نحوه بالنسبة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ٨ ، والقاموس المحيط ١/ ١٦١٦ ، والمعجم الوسيط ١/ ٥ ، ولسان العرب ١/ ٢٤ .

(٥) هذا عجز بيت لامرئ القيس ، وصدره :

وَفَرْعٍ يِزينُ المَتنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ

الفرع : الشعر التام . والفاحم : الشديد السواد . العثكال : بمعنى القنو ، وقد يكون قطعة منه . فقد ذكر المرأة تبدي عن شعر طويل تام يزين ظهرها إذا أرسلته ، ثم شبه ذؤابتيها بقنو نخلة خرجت قنوانها . انظر : ديوانه ٤٤ ، وشرح القصائد للتبريزي ٤٤ ، وشرح المعلقات السبع ٣٢ ، وتهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨ ، ولسان العرب (أثث) ١/ ٢٤ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٢ .

والرِّعْي»[١] . وقول المفسرين في تفسير الرئي : المنظر ، قاله ابن عباس وغيره[٢] . وقال الحسن : «الصور»[٣] . وهو راجع إلى النظر . وقُرئ : (ورياً) بغير همز[٤] .

قال أبو إسحاق : «وله تفسيران : على معنى الأول بطرح الهمز ، وعلى معنى أن منظرهم مُرْتو من النعمة ، كأن النعيم بين فيهم»[٥] .

قال أبو علي : «رياً بغير همز يجوز أن يكون بمعنى رئياً فخففت الهمزة ، وإذا خففت لزم أن يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها ، كما تبدل في : ذيب ، وبير ، فإذا أبدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله فلا بد من الإدغام ، وليس يجوز الإظهار لاجتماع المثلين الأول ساكن ، ويجوز أن يكون أصله غير الهمز من الري الذي هو ضد العطش ، والمراد به في الآية الطراوة والنضارة ؛ لأن الري يتبعه ذلك ، كما أن العطش يتبعه الذبول والجهد»[٦] .

قال الفرَّاء : «والقراءة بغير همز وجه جيد ؛ لأنه مع آيات ليست بمهموزات الأواخر»[٧] . وروي عن عاصم في بعض الروايات : ﴿وَرِءْيًا﴾ مثل وريعاً[٨] . وهذا على الهمز التي هي عين إلى موضع اللام ويكون تقديره : فَلِعاً ، ومن العرب

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١١٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٩/ ٥٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٠ .

(٤) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿وَرِءْيًا﴾ مهموزة بين الراء والياء ، وقرأ ابن عامر ، ونافع (ورياً) بغير همز . انظر : السبعة ٤١١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٩ ، وحجة القراءات ٤٤٧ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٤ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٢ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٠ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧١ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٩ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٤٤ .

مـــن يقول : رَاءَني زيدٌ بقلـــب الهمز فيؤخره فرئياً مـــن رآني[١] . والمعنى : أن الله -تعالى- قد أهلك قبلهم أقواماً كانوا أكثر متاعاً ، وأحسن منظراً فأهلك أموالهم ، وأفسد عليهم صورهم فليخافوا نقمة الله بالإهلاك كسُنَّة مَن قبلهم من الكفار .

٧٥. قوله تعـــالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ . قال ابـــن عباس : «قل لهم يا محمد : مَن كان في العمايـــة»[٢] ؛ يعني عن التوحيد ودين الله ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ .قال أبو إســـحاق : «فليمدد لفـــظ أمر في معنى الخبر ، وتأويله أن الله جعل جزاء ضلالته أن يتركه ، ويمده فيها ، إلَّا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر ، كأن لفظ الأمر يريد به المتكلم نفســـه إلزاماً ، كأنه يقول أفعل ذلك وآمر نفسي ، فإذا قال قائل : مَن زارني فلأكرمه ، فهو ألزم من قوله أكرمه ، كأنـــه قال : مَن زارني فأنا آمر نفسي بإكرامه وألزمها ذلك»[٣] .

وقال أبـــو علي : «هذا لفظه كلفظ أمثلة الأمر ومعنـــاه الخبر ، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا ، وأن المعنى مدَّه الرحمن مدّاً»[٤] . وابن عباس فسره أيضاً بالخبر فقال : «يريد فإن الله يمد له فيها حتى يســـتدرجه»[٥] . وقد تقدم القول في وضع بعض الأمثلة موضع بعض في آيات .

ومعنـــى المـــد في الضلالـــة ذكرنـــاه في قولـــه : ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة :١٥] . وقال صاحب النظم :(مَن) شرط وللشرط جزاء ، واجتمع في قوله :

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٣ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٩ ، والمحتسب ٢/ ٤٤ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١١٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .

(٥) ذكـــرت كتب التفســـير نحوه من دون نســـبة . انظر : الكشـــف والبيـــان ٣/ ١٢ أ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٢٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وزاد المســـير ٥/ ٢٥٩ ، والجامع لأحـــكام القرآن ١١/ ١٤٤ ، وروح المعاني ١٦/ ١٢٧ .

﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ جزاء الشرط والفاء دليل عليه ، وابتداء الأمر ، ولو تمحض جزاء لكان يمدد ولكنه دعاء عليهم بأن يمدهم الله في الضلالة ، والدعاء يكون بلفظ الأمر كأنه أمر النبي ﷺ أن يدعو على مَن كان في الضلالة بهذا الدعاء ، وهذا كما تقول في الكلام : مَن سرق مالي فليقطع الله يده ، فهذا دعاء على السارق وهو جواب للشرط»[(١)] . هذا معنى كلامه . وعلى ما ذكر ، لا يكون ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ خبراً كما قاله الزجَّاج ، وأبو علي ، وأكد ابن الأنباري هذا الوجه فقال : «اللام في ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ لام الدعاء وتقديرها في الآية : قل يا محمد : مَن كان في الضلالة فاللهم مُدَّ له في العمر مدّاً»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا﴾ متصل بالمد ؛ لأن المعنى مدَّه الله في ضلالته حتى يرى ما يوعد من العذاب أو الساعة ، وإنما قال ﴿رَأَوْا﴾ بعد قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ؛ لأن لفظ مَن يصلح للواحد والجمع ، و (إذا) مع الماضي يكون بمعنى المستقبل ، والمعنى : حتى يروا ما يوعدون .

وقوله تعالى : ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ منصوبان على البدل من ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾[(٣)] . قال أبو إسحاق : «و﴿ٱلْعَذَابَ﴾ هاهنا ما وعدوا به من نصر المؤمنين عليهم ، فإنهم يعذبونهم قتلاً ، وأسراً ، و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني بها يوم القيامة وما وعدوا فيها من الخلود في النار»[(٤)] . والمعنى : ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ بالنصر والقتل أيهم ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ ، كما قاله الزجَّاج وأبو علي[(٥)] ، أهم أم المؤمنون ، ويعلمون

(١) ذكر نحوه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٦ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٣ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٣ ، والحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .

بمكانهم من جهنم ومكان المؤمنين من الجنة ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ؛ قال ابن عباس : «أراد الله هذا الرد عليهم في قولهم : ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾»[١] .

٧٦. قوله تعالى : ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ . قال [الربيع بن أنس : «يزيد الله الذين اهتدوا][٢] بكتابه هدى بما ينزل عليهم من الآيات فيصدقون بها»[٣] . وقال الكلبي : «ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ»[٤] . وقيل معناه : «يزيدهم إخلاصاً وإيماناً»[٥] . وقيل : «يزيدهم هدى بالتوفيق حتى يستكثروا من الطاعات»[٦] . وقال أبو إسحاق : «المعنى أن الله -تعالى- يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافر[٧] أن يمده في ضلالته»[٨] .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٠٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٢٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ ، والكشاف ٢/ ٥٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١١٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٤٨ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ ، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ٩٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٢٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٤٨ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٩٨ .

(٧) في (س) : (الكافرين) .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٤ .

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ الأذكار والأعمال الحسنة من الطاعات التي تبقى لصاحبها ولا تحبط[١] . ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاء في الآخرة مما يفتخر به الكفار من مالهم وحسن معاشهم . ومضى القول في الباقيات الصالحات في سورة الكهف[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ . المرد هاهنا مصدر مثل الرد ، والمعنى : وخير ردّاً على عامليها للثواب ، ليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت ، ويقال : هذا الأمر أردُّ عليك ؛ أي أنفع لك[٣] . والمعنى : أنه يرد عليك ما تريد ، كذلك أعمال المؤمنين ترد عليهم الجنة التي فقدوها بإخراج أبيهم آدم منها[٤] . ويجوز أن يكون المرد بمعنى : المرجع وكل واحد يرد إلى عمله الذي عمله ، فيجمع بينه وبين ما عمل ، فالأعمال الصالحة خير مردّاً من الأعمال السيئة[٥] .

٧٧. قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ . قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير : «نزلت في العاص بن وائل[٦] ، وذلك أن خباب بن الأرت كان له عليه دين فأتاه يتقاضاه ، فقال : لا أقضيك حتى تكفر بآلهة محمد ، فقال خباب : والله لا أكفر بإله محمد حيّاً ولا ميتاً ولا حين

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٢ ، وجامع البيان ١٦/ ١١٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف :٤٦] .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (رد) ٢/ ١٣٩٠ ، والصحاح (ردد) ٢/ ٤٧٣ ، ولسان العرب (ردد) ٣/ ١٦٢١ ، والمفردات في غريب القرآن (رد) ١٩٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٥ .

(٥) الكشاف ٢/ ٤٢١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٥ ، وفتح القدير ٣/ ٤٩٨ .

(٦) العاص بن وائل بن هاشم السهمي ، أحد المجاهرين بالعداوة والأذى للرسول ﷺ وللصحابة رضوان الله عليهم ، توفي بعد الهجرة بشهرين ، وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه . انظر : جوامع السيرة ٥٣ ، والكامل لابن الأثير ٢/ ٤٨ ، والأعلام ٣/ ٢٤٧ .

أبعث ، فقال : أو تبعث أيضاً ؟ فـدع مالك قبلي ، فإذا بعثت أعطيت مالاً وولداً وقضيتك مما أعطى ، يقول ذلك مستهزئاً»[١] .

وقال مقاتل والكلبـي : «قال لخباب : لئن كان ما تقـول حقاً فإني لأفضل ثَـمَّ نصيباً منك ، فأنـزل الله عز وجـل : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ يعني : العاصي كفر بالقرآن»[٢] . ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾ ؛ لأعطين ؛ أي والله لأوتين . القسم مضمر :﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ ، يعني في الجنة بعد البعث .

وقُرئ : وَلَداً ، و (وُلْداً)[٣] . قال الليث : «الولد اسـم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى»[٤] . قال الزجَّاج : «الوَلَدُ والوُلْدُ واحد مثل العَرَبُ ، والعُرْبُ ، والعَجَـمُ ، والعُجْمُ ، والبَخَـلُ ، والبُخْـلُ»[٥] . ونحو ذلك قـال الفرَّاء[٦] ، وأنشد[٧] :

وَلَـقَـدْ رَأَيْـتُ مَـعَـاشِـراً قَـدْ ثَمَّـرُوا مَـالاً وَوُلْـدَا

(١) جامـع البيان ١٦/ ١٢٠ ، والنكـت والعيون ٣/ ٣٨٧ ، والمحرر الوجيـز ٩/ ٥٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٥ ، والكشف والبيان ٣/ ١٢ ب .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وعاصم ، وابن عمر ﴿وَوَلَدًا﴾ بفتح الواو ، وقرأ حمزة ، والكسائي (وَوُلْداً) بضم الواو .
انظر : السبعة ٤١٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١١ ، والتبصرة ٢٥٧ ، والنشر ٢/ ٣١٩ .

(٤) تهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥١ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٤ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ .

(٧) البيـت للحارث بن حلزة . انظر : جامـع البيان ١٦/ ١٢٢ ، والنكت والعيـون ٣/ ٣٨٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ ، والدر المصون ٧/ ٦٣٥ ، وتهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥١ ، ولسـان العرب (ولد) ٨/ ٤٩١٤ .

واحتج على استعمال المضموم في الواحد بقول العرب في المثل : «وُلْدُكِ مَنْ دَمَّى عَقِبَيْكِ»[١] ، وأنشد[٢] :

فَلَيْتَ فُلَانـاً كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانـاً كَانَ وُلْدَ حِمَارِ

فهذا واحد قال : «وقيس تجعل الوُلْد جمعاً ، والوَلَد واحداً»[٣] . وقال ابن السكيت : «الوُلْدُ يكون واحداً وجمعاً»[٤] .

قال أبو علي : «هو كالفُلْك الذي يكون مرة جمعاً ومرة واحداً ، ويكون لفظ واحده [موافقاً للفظ جمعه][٥] ، قال : ويجوز أن يكون الوُلْدُ جمع وَلَد مثل أَسَدٍ ، وأُسْدٍ ، وثَمَرٍ ، وثُمْرٍ»[٦] .

٧٨. قال الله -تعالى- مكذباً له ومنكراً عليه : ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد : «يريد أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا»[٧] . وقال الكلبي : «معناه : أنظر في اللوح المحفوظ»[٨] .

---

(١) المعنى : ابنكِ الذي نَفُسْتِ به حتى أدمى النفاس عقبيك ، فهو ابنك حقيقة لا مَن اتخذته وتبنيته وهو من غيرك .
انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ ، والأمثال للسدوسي ٥١ ، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٠ ، والأمثال لابن سلام ١٤٧ ، وتهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥٠ ، ولسان العرب (ولد) ٨/ ٤٩١٤ .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٢٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١١ ، والمحتسب ١/ ٣٦٥ ، والدر المصون ٧/ ٦٣٦ ، وتهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥١ ، ولسان العرب (ولد) ٨/ ٤٩١٤ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥١ ، ولسان العرب ٨/ ٤٩١٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٢ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٦١ ، والقرطبي ١١/ ١٤٦ .

(٨) ذكرته كتب التفسير ، ونسبته إلى ابن عباس . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٦١ ، والقرطبي ١١/ ١٤٦ .

وقوله تعالى : ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قال ابن عباس : «يريد : مَن قال : لا إله إلَّا الله فارحمه بها»[١] .

وقال قتادة : «يعني : أقدَّم عملاً صالحاً فهو يرجوه ؟»[٢][٣] .

وقال السُّدِّي : «العهد : الطاعة لله عز وجل»[٤] . وهذا القول منتزع مما روي أن النبي ﷺ قال : «يقول الله : مَن صلى الصلوات لوقتها ولم يذرها استخفافاً بها لقيني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله بـــه الجنة ، ومَن لم يصلها لوقتها وتركها استخفافاً بها لقيني يوم القيامة وليس له عندي عهد»[٥] .

وعلى [هذا المعنـــى فالآية][٦] : أم صلى الصلـــوات الخمس فاتخذ بها عندي عهداً ؟ وقال الكلبي : «أعهد إليه الله أنه يدخله الجنة ؟»[٧] . وهو اختيار الزجَّاج يقول : «أم أعطي عهداً ؟»[٨] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٢) قوله : (فهو يرجوه) : ساقط من نسخة (س) .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٢٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٦ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نســبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٢ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣٠ .

(٥) أخـــرج نحوه أبو داود في ســـننه في كتاب الوتر ، بـــاب في من لم يوتر ٢/ ١٣١ ، والنســـائي في كتاب الصلاة ، باب فضل الخمس ١/ ١٦٤ ، وابن ماجه في ســـننه في كتاب إقامة الصلاة والسُّنة فيها ، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس ١/ ٤٤٨ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٤٤ ، والهواري في تفسيره ٣/ ٧٦ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والقرطبي ١١/ ١٤٦ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ .

٧٩. وقوله تعالى : ﴿كَلَّا﴾[١] هذه الكلمة ترد في القرآن بمعنيين أحدهما : الرد لكلام تقدم[٢] . والثاني : بمعنى : حقّاً[٣] .

قال الفرَّاء : «كلا بمنزلة سوف ، وتجيء حرف رد فكأنها نعم ولا»[٤] .

وهـذا الذي قاله[٥] الفرَّاء هـو أصل معنى كلا ، فإنه ينفـي ما قبله ويحقق مـا بعده ، ولذلك اختلف المفـسرون في معناه فجعله[٦] بعضهـم بمنزلة حقّاً ، وبعضهم جعله ردّاً لما قبله وردعاً ، وهو متضمن للمعنيين كما ذكره الفرَّاء[٧] .

وقال الكسـائي : «لا تنفي حسب ، وكلا تنفي شـيئاً وتوجب شيئاً كقولك لرجل قال لك : أكلت شـيئاً ؟ قلت : لا ، ويقول آخـر : أكلت تمراً فتقول[٨] : كلا ، أردت أنك أكلت عسلاً لا تمراً ، قال : وتأتي كلا بمعنى قول حقّاً» قال ذلك كله أحمد بن يحيى عن سلمة عن الفرَّاء عن الكسائي[٩] .

قال الفرَّاء : «ويجوز أن تجعلها صلة لمـا بعدها كقولك : كلا ورب الكعبة ، فتكـون بمنزلـة : إي ورب الكعبة ، قـال الله تعـالى : ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر :٣٢]

---

(١) قال الألوسي في روح المعاني ١٦/ ١٣١ : «وهذا أول موضع وقع فيه من القرآن ، وقد تكرر في النصف الأخير فوقع في ثلاثة وثلاثين موضعاً» .

(٢) لفظ : (تقدم) ساقط من نسخة (س) .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣١ ، والدر المصون ٧/ ٦٣٧ .

(٤) ورد نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤٢٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤ ، والدر المصون ٧/ ٦٣٧ .

(٥) قوله : (قاله) : ساقط من نسخة (س) .

(٦) قوله : (فجعله) : ساقط من نسخة (س) .

(٧) المحرر الوجيز ٩/ ٥٢٨ ، والكشاف ٢/ ٤٢٢ ، والقرطبي ١١/ ١٤٧ .

(٨) قوله : (فتقول) : ساقط من نسخة (س) .

(٩) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٩ ، وشرح كلا وبلى ونعم لمكي بن أبي طالب ٢٤ .

فإذا جعلتها صلة لما بعدها لم تقف عليها كقوله : ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ . والوقف على ﴿كَلَّا﴾ قبيح ؛ لأنها صلة لليمين»[١] .

وقال الأخفش : «﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر»[٢] . وهذا مذهب سيبويه[٣] ، وإليه ذهب الزجَّاج في جميع القرآن[٤] . قال أبو حاتم : «وتجيء ﴿كَلَّا﴾ بمعنى (أَلَا) التي هي للتنبيه يستفتح بها الكلام كما يستفتح بـ(أَلا»[٥] ، واحتج بقول الأعشى[٦] :

كَلَّا زَعَمْتُمُ بِأَنَّا لا نُقَاتِلكُمْ إِنَّا لأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ

قال ابن الأنباري : «هذا غلط منه ، ﴿كَلَّا﴾ لا تكون افتتاح الكلام ، والذي في البيت بمعنى(لا) ، أي ليس الأمر على ما يقولون»[٧] . واحتج أيضاً بقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق :٦] قال معناه : أَلَا إن الإنسان ليطغى»[٨] .

قال ابن الأنباري : «معنى ﴿كَلَّا﴾ في هذه الآية الذي احتج بها حقّاً ، كأنه قال : حقّاً إن الإنسان ليطغى ، قال : ويجوز أن يكون بمعنى(لا) كأنه لا ليس الأمر على ما تظنون يا معشر الكفرة ، كما قال : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة :١] ،

---

(١) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، والإيضاح في الوقف والابتداء ٢/ ٧٧٦ ، والقطع والائتناف ٤٥٨ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ ، وشرح كلا وبلى ونعم : ص ١٩ .

(٢) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، وشرح كلا وبلى ونعم ٢٨ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٢/ ٣١٢ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ .

(٥) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، والقطع والائتناف ٤٥٨ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ ، وشرح كلا وبلى ونعم ٢٥ .

(٦) البيت للأعشى . انظر : شرح القصائد للتبريزي ٣٤٧ ، وشعراء النصرانية ٣٦٩ ، وتهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، ولسان العرب (كلا) ٧/ ٣٩٢٦ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، ولسان العرب ٧/ ٣٩٢٦ .

(٨) انظر : المصادر السابقة ، وشرح كلا وبلى ونعم ٢٦ .

ولا راد لكلامه ، ثم ابتدأ فقال : أقسم» هذا كلام أبي بكر[١] . وقد ذكر سيبويه أن كلا بمعنى : حقّاً[٢] .

وعلى هذا ، يجوز أن تكون بمعنى (أَلَا) ، ولا يجوز على الوجه الذي ذكره أبو حاتم ؛ لأنه يجعله افتتاحاً لا بمعنى حقّاً . واختلفوا في الوقف على كلا ؛ فقال أبو العباس أحمد بن يحيى : «لا يوقف على ﴿كَلَّا﴾ في جميع القرآن ؛ لأنها جواب والفائدة تقع في ما بعدها»[٣] . ومنهم مَن قال : «يوقف على ﴿كَلَّا﴾ في جميع القرآن»[٤] . ومنهم مَن قال : «يوقف على ما قبل ﴿كَلَّا﴾ ويبتدأ بها»[٥] .

فأمَّا في هذه الآية فقال ابن الأنباري : «الوقف على ﴿كَلَّا﴾ جائز ؛ لأن المعنى ليس الأمر»[٦] . كذا قال ، ويجوز أن يوقف على قوله : ﴿عَهْدًا﴾ ؛ أي لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً . ومنهم مَن قال : «معناه : ليس الأمر كما يظنه من أنه يؤتى المال والولد»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ ؛ أي سنأمر الحفظة بإثباته لنجازيه في الآخرة ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ؛ نزيده عذاباً فوق العذاب .

---

(١) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، وشرح كلا وبلى ونعم ٦١ .

(٢) الكتاب ٢/ ٣١٢ ، وتهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ .

(٣) انظر : القطع والائتناف ٤٥٨ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ ، وتهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، وشرح كلا وبلى ونعم ١٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣١ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣١ ، والمحتسب ٢/ ٤٥ ، وشرح كلا وبلى ونعم ١٩ .

(٦) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ . قال مكي بن أبي طالب في شرح كلا وبلى ونعم ١٩ : «يوقف عليها إذا كان ما قبلها يرد وينكر ، ويبتدأ بها إذا كان ما قبلها لا يرد ولا ينكر ، وتوصل بما قبلها وما بعدها إذا لم يكن قبلها كلام تام . وهذا المذهب أليق بمذهب القرَّاء وحذاق أهل النظر ، وهو الاختيار ، وبه آخذ» .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٧ .

٨٠. وقوله تعالى : ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان أحدهما : نرثه ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه . وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد[١] . ويدل عليه قراءة ابن مسعود :(ونرثه ما عنده)[٢] . وما بعده من قوله : ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ يدل على هذا القول ؛ أي إنه يأتي الآخرة بلا مال ولا ولد . القول الثاني : ما قاله السُّدِّي قال : «نرثه أهله وماله الذي في الجنة»[٣] . وهو قول الكلبي قال : «﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ في الجنة من الذهب والفضة والحرير فنجعله لغيره من المسلمين»[٤] .

وعلى هذا ، معنى الآية : لا نعطيه ما يقول ، ونسلبه الذي آتيناه في الدنيا حتى يأتينا خالياً منه . وهو قوله : ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ؛ أي خالياً من الأموال والأولاد .

٨١. قوله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ . معنى العز : الامتناع من الضيم ، والعزيز : المنيع من أن ينال بسوء[٥] . والمعنى : عبدوها ليمتنعوا بها من عذابي .

قال أبو إسحاق : «﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ ؛ أي أعواناً»[٦] .

---

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٢ ، وجامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ١/ ١٣ ، وجامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥١ .

(٣) ذكر في زاد المسير ٥/ ٢٦١ من دون نسبة ، وأضواء البيان ٤/ ٣٨٥ .

(٤) البحر المحيط ٦/ ٢١٤ ، وذكر من دون نسبة في زاد المسير ٥/ ٢٦١ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عز) ٣/ ٢٤١٩ ، ومقاييس اللغة (عز) ٤/ ٣٨ ، ولسان العرب (عزز) ٥/ ٢٩٢٥ ، ومختار الصحاح (عزز) ٤٢٩ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ .

وقال الفرَّاء : «ليكونوا له شفعاء في الآخرة»[١] . وهذا معنى قول ابن عباس : «ليمنعوهم مني»[٢] . وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله ، ووحد العز ؛ لأنه مصدر وكان من حق هذا المعنى أن يقال : واتخذوا من دون الله آلهة ليعزوا بها أعزة ؛ لأنهم رجوا منها العز ، ولكن جعلت الآلهة عزاً في اللفظ لحبهم عبادتها وقوة رجائهم في العز بها ، فلغلوهم في حبها ، والطمع في الامتناع بها جعلت هي في اللفظ العز ، وإن كانوا إنما يرجون العز بها في الحقيقة كما يقال : السخاء حاتم[٣] ، والشعر زهير ، والشجاعة عنترة ، وهم لا يكونون نفس هذه الأحاديث وإنما توجد بهم .

٨٢. قال الله تعالى : ﴿كَلَّا﴾ . قال ابن عباس : «يجحدون بعبادتهم»[٤] . وهذا يحتمل وجهين :

أحدهما : أن العابدين يجحدون أنهم عبدوها ، وذلك لَمَّا رأوا من سوء عاقبتها[٥] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧١ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ ، ومجمع البيان ٥/ ٨١٧ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٠ .

(٣) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، أبو عدي ، شاعر جاهلي ، اشتُهِر بالجود والكرم والخلق والسماحة ، ويضرب به المثل في جوده وكرمه ، تميز شعره بذكر السخاء والكرم والحكم الجاهلية ، توفي في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ . انظر : الشعر والشعراء ١٤٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ٤٢٤ ، والأعلام ٢/ ١٥١ ، وإنباه الرواة ٣/ ٣٢٠ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٢ ، والكشاف ٢/ ٥٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ ، وأنوار التنزيل ٤/ ١٥ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ .

الثاني : تجحد الآلهة عبادة المشركين لها ، كما قال الله في موضع آخر : ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص :٦٣] ، وذلك أن تلك الآلهة كانت جماداً لا تعلم العبادة[١] . وقيل معناه : «ما كانوا إيانا يعبدون بأمرنا وإرادتنا»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ . قال ابن عباس : «يقول أعواناً»[٣] . وهو اختيار أبي إسحاق قال : «أي يصيرون أعواناً عليهم»[٤] .

وقال مجاهد : «تكون عوناً عليهم»[٥] . وهو قول الفرَّاء[٦] . والمعنى : أن الأصنام التي عبدوها تكون أعواناً على عابديها يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم ، وهو معنى قول عكرمة ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ قال : «أعداء»[٧] . وهذا اللفظ اختيار ابن قتيبة قال في قوله : ﴿ضِدًّا﴾ : «أي أعداء يوم القيامة ، وكانوا في الدنيا أولياءهم»[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٥٠ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٨٨ : «والقرينة المرجِّحة لهذا القول أن الضمير في قوله : ﴿وَيَكُونُونَ﴾ راجع إلى المعبودات ، وعليه ، فرجوع الضمير في ﴿وَيَكُونُونَ﴾ إلى المعبودات أظهر لانسجام الضمائر بعضها مع بعض ، وتفريق الضمائر خلاف الظاهر ، والعلم عند الله تعالى» .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٢٤ ، والنكت والعيون ٣/ ١٤١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٢ .

(٧) ذكرته كتب التفسير ، ونسبته إلى الضحاك . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٢/ ٤ .

قال الأخفش : «الضَّد يكون واحداً وجماعة مثل الرَّصد والأَرْصَاد ، قال : والرَّصَدُ يكون للجماعة»[١] ؛ وروى ثعلب عن الفرَّاء أنه قال : «معناه في التفسير : ويكونون عليهم عوناً»[٢] . فلذلك وحده ، يقال : فلان ضد فلان ، إذا كان مخالفاً كالبياض ضد للسواد ، فإذا قلت : فلان ضد على فلان ، كان المعنى أنه مخالف معادٍ له .

وروي عن قتادة أنه قال في قوله : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ قال : «قرناء في النار»[٣] .

والصحيح ما عليه الجماعة[٤] ، لقوله : ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ، ولو قال : لهم ضدّاً احتمل ما قاله قتادة ؛ لأن الضد قد ورد في اللغة بمعنى مثل الشيء ، حكاه ابن السكيت عن أبي عمرو[٥] ، فلمَّا قال : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ كان المعنى : أنهم عون عليهم أعداء لهم ، ويبعد أن يفسر بالقرناء . قال ابن الأنباري : «ويجوز أن تكون الهاء في عليهم ترجع على الأصنام بتأويل ويكون الكفار على الأصنام ضداً ؛ لأنه يبيحون بعيبها ويخبرون بعجزها عند البراءة منها»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٨ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٢ ، وتهذيب اللغة (ضد) ٢/ ٢١٠٠ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٢ ، وجامع البيان ١٦/ ١٢٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥١ .

(٤) يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف :٥ ، ٦] .

(٥) تهذيب اللغة (ضد) ٢/ ٢٠٠ .

(٦) ذكر نحوه بلا نسبة الكشاف ٢/ ٤٢٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٥ ، والدر المصون ٧/ ٦٤٠ .

٨٣. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قال الكلبي: «نزلت في المستهزئين بالقرآن»[(١)]. وذكر أبو إسحاق في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهين:

أحدهما: «أن المعنى خلينا الشياطين وإياهم، فلم نعصمهم من القبول منهم»[(٢)].

قال أبو علي: «الإرسال يستعمل على معنى التخلية بين المرسل وبين ما يريد، وليس يراد به معنى البعث، كما قال الراجز[(٣)]:

أَرْسَلَ فِيْهَا بَازِلاً يَقْدمُه
وَهُوَ بِهَا بخواً طَرِيْقاً يَعْلَمُه

يريد خلَّى، يريد: بين الفحل وبن طروقته ولم يمنعه منها. قال فمعنى الآية: خلَّينا بين الشياطين وبين الكافرين؛ أي لم نعصمهم منهم ولم نعذهم، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، [الإسراء: ٦٥]. هذا كلام أبي علي في شرح أحد وجهي الإرسال[(٤)]. وإلى هذا الوجه يذهب القدرية في معنى الآية. وليس المعنى على ما يذهبون إليه»[(٥)].

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٣.

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥.

(٣) لم أهتدِ إلى قائله. بازلًا: يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه البازل، وهو أقصى أسنان البعير، وسمي بازلاً من البزل، ويقال للأنثى بازل وجمعها بوازل. بخبخة البعير: هدير يملأ الفم شقشقته. انظر: تهذيب اللغة (بزل) ١/ ٣٢٨، ولسان العرب (بزل) ١/ ٢٧٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) قال الشنقيطي ـرحمه اللهـ في أضواء البيان ٤/ ٣٨٩: «أي سلَّطانهم عليهم وقيضناهم لهم، وهذا هو الصواب خلافاً لَمن زعم أن المعنى: ﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الآية، أي خلينا بينهم وبينهم، ولم نعصمهم من شرهم. يقال أرسلت البعير؛ أي خليته». وقال الرازي في تفسيره ١١/ ٢٥١: «وقد تعلق المجبرة بذلك؛ لأن عندهم أن ضلال الكافر من قبله - تعالى - بأن خلق فيهم الكفر، وقدر الكفر فلا تأثير لما يكون من =

قال أبو إسحاق : «والوجه الثاني وهو المختار : أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف :٣٦] ، وكما قال : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [فصلت :٢٥] الآية . قال : ومعنى الإرسال هاهنا : التسليط ، تقول : قد أرسلت فلاناً على فلان ، إذا سلطته عليه كما قال : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر :٤٢] ، فأعلم أن مَن اتبعه هو مسلط عليه»[(١)] . وقد بان بما ذكره أبو إسحاق أن الوجه في معنى الآية هذا .

وقوله تعالى :﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ .معنى الأز في اللغة : التحريك والتهييج[(٢)] . قاله ابن الأعرابي وأبو عبيدة[(٣)] ، وأنشد لرؤبة[(٤)] :

لاَ يَأْخُذُ التَّأْفِيكُ والتَّحَزِّي فِيْنَا ولاَ طَيْخُ العِدَى ذُو الأَزِّ

= الشيطان ، وإذا بطل حمل اللفظ في ظاهره فلا بد من التأويل ، فتحمله على أنه – تعالى – خلَّى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من إغوائهم وهذه التخلية تسمى إرسالاً في سعة اللغة ، وهذه التخلية – وإن كان فيها تشديد للمحنة عليهم فهم متمكنون من أن لا يقبلوا منهم ، ويكون ثوابهم على ترك القبول أعظم والدليل عليه – قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ ، والله –تعالى–ما أرسل الشياطين إلى الكفار ، بل أرسلها عليهم ، والإرسال عليهم هو التسليط ، لا إرادة أن يصبر مستولياً عليه . . . وكما خلَّى بين الشياطين والكفرة فقد خلَّى بينهم وبين الأنبياء . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٤ ، والعقيدة الواسطية ٥٨ .

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ .
انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٨٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (أز) ١/ ١٥٥ ، ومقاييس اللغة (أز) ١/ ١٣ ، والقاموس المحيط (أزت) ١٤٦ ، والصحاح (أزز) ٣/ ٨٦٤ ، ولسان العرب (أزز) ١/ ٧٢ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١ ، وتهذيب اللغة (أز) ١/ ١٥٥ .

(٤) البيت لرؤبة .
التأفيك : من الإفك وهو الكذب . والتحزي : التكهن . والطيخ : الجهل ، ويطلق على الكبر . انظر : ديوانه ٦٤ ، ومجاز القرآن ٢/ ١١ ، والجمهرة ١/ ١٧ ، وتهذيب اللغة (أز) ١/ ١٥٥ ، ولسان العرب (أزز) ١/ ٧٢ .

ومنه يقال لغليان القــدر : الأزيز ، وذلك أن الماء يتحرك عند الغليان ، ومنه الحديث : «إنه كان لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»[١] .

قال أبو عبيدة : «الأزيز الالتهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب ، يقال : أُزَّ قِدْرَك ؛ أي ألهب تحتها النار ، وائْتَزَّتِ القدر إذا اشتد غليانها»[٢] .

وقال شــمِر : «أقرأنا ابن الأعرابي عن المفضل : أن لقيم بن لقمان قال لأبيه : اطْبَــخْ جَزُورَكَ فَأُزَّ مَــاءً أو وغِّله حَتى ترى الكَرَادِيْسَ[٣] كأنها رُؤُوس شُــيُوخٍ صُلْعٍ ، في كلام ذكر»[٤] .

وقد حصل للأز معنيــان ، أحدهما : التحريك . والثاني : الإيقاد والإلهاب ، وأحدهما قريب من الآخر . وكلام المفسرين غير خارج عن الأصلين ، واختلفت عبارات ابن عباس وغيره في تفسير الأَزِّ ، فقال في رواية الوالبي : «﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ؛

(١) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الصلاة ، باب البكاء في الصلاة ٣/ ١٣ ، وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة ١٥٧ ، والإمام أحمد في مســنده ٤/ ٢٥ عن مطرق بن عبدالله عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ١/ ٣ ، والطــبري في جامع البيان ١٦/ ١٢٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٥٣٢ ، وذكره القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٥٠ ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٢٠٦ ، وقال : «الحديث رواه أبو داود والنســائي والترمذي في الشمائل ، وإســناده قوي ، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ووهم مَن زعم أن سلماً أخرجه» .

(٢) تهذيب اللغة (أز) ١/ ١٥٥ .

(٣) الكَرَادِيس : رؤوس العظام ، واحدها كردوس ، كل عظم تام ضخم فهو كردوس .
انظر : تهذيب اللغة (كردس) ٤/ ٣١٢٢ ، ومقاييس اللغة (الكردوس) ٥/ ١٩٤ ، والقاموس المحيط (الكردوسة) ٥٧٠ ، واللسان (كردس) ٧/ ٣٨٥٠ .

(٤) تهذيب اللغة (أز) ١/ ١٥٥ ، ولسان العرب (أزز) ١/ ٧٢ .

أي تغويهم إغواء»[١] . وهو قول سعيد بن جبير[٢] ، وسفيان[٣] ، ومجاهد إلَّا أنه ذكر لفظاً آخرَ فقال : «تشليهم أشـلاً»[٤] . وقال في رواية الضحاك : «تحرضهم تحريضاً»[٥] . وقال في رواية عطاء : «تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً»[٦] . وهو قول قتادة[٧] ، واختيار أبي إسحاق ، وابن قتيبة[٨] .

وروى ميمـون بن مهران أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس : «أخبرني عن قول الله : ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ قال : توقدهم»[٩] .

والمعنـى أنها تحركهم كما تحـرك الماء بالإيقاد تحته ، وهـذا كما قال الأخفش والمؤرج : «توهجهم وتحركهم»[١٠] .

وقال الضحاك : «تأمرهم أمراً»[١١] . وهذا أضعف العبارات .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٢٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، وتفسـير القـرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٠ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٩ أ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤١ .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٥٣٢ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٧ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٨٩ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٩ أ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٦٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٠ .

(٧) تفسـير القرآن للصنعاني ٢/ ١٢ ، وجامع البيان ١٦/ ١٢٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٥١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٧ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٥ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٤ .

(٩) الدر المنثور ٤/ ٥٠٧ ، وعزاه لابن الأنباري .

(١٠) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أز) ١٣/ ٢٨٠ ، ومقاييس اللغة (أز) ١/ ١٣ ، والقاموس المحيط (أزت) ٥٠٢ ، ولسـان العرب (أزز) ١/ ٧٢ ، والصحاح (أزز) ٣/ ٨٦٤ ، وتاج العروس (أزز) ٨/ ٧ .

(١١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٩ أ .

٨٤. قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ ؛ أي بطلب العذاب لهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ ؛ أي أجلناهم إلى أجل يبلغونه بالعدد . وروي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قال : «أنفاسهم التي[١] يتنفسون في الدنيا فهي معدودة كسنيهم وآجالهم»[٢] . وقال في رواية عطاء : «يريد الأنفاس»[٣] . وقال الكلبي : «﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ ؛ الليالي والأيام والشهور والسنين والساعات»[٤] . والمعنى : أنا لم نغفل عنهم ، نعد لهم هذه الأشياء إلى الأجل الذي أجلنا لعذابهم ، وهذا من أبلغ الوعيد . ومثله : كقول عمرو بن معد يكرب في الوعيد والتهديد[٥] :

أَغْنَى غَنَاءَ الْمَيْتِينَ أَعُدُّ لِلأَعْدَاءِ عَدّاً

قيل في تفسيره : أعد أنفاسهم لأنتهز الفرصة في الإيقاع بهم . والمعنى : لا أغفلهم ، وهذا مأخوذ من الآية .

٨٥. وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ ؛ أي اذكر لهم يا محمد ، هذا اليوم الذي يجمع فيه مَن اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتناب معاصيه إلى الجنة ، هذا معنى قوله : ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ ؛ أي إلى جنته ومحل كرامته ، قاله قتادة[٦] . ﴿وَفْدًا﴾ . قال الفرَّاء ، والأصمعي : «﴿وَفْدًا﴾ الوَفْدُ ، يَفِدُ ، وَفْداً ،

---

(١) قوله : (التي) : ساقط من (ص) .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ .

(٣) زاد المسير ٥/ ٢٦٢ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٠ .

(٥) لم أهتدِ إلى قائله .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٣ ، وجامع البيان ١٦/ ١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٨ .

وَوِفَادَةً ، وَوُفُوداً إذا خرج إلى ملك وأمير في فتح أو أمر ، ويقال : وَفَّدَ الأمير إلى الذي فوقه وأَوْفَدَه»[١] .

قال الفرَّاء : «والوَفْدُ اسم الوَافِدِين كما قالوا : صوم وفطر وزور»[٢] . وقال ابن قتيبة : «الوَفْدُ جمع الوَافِدِ ، كما يقال : رَاكِب ورَكْب ، وصَاحِب وصَحْب»[٣] . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «وفداً : ركباناً»[٤] . وقال أبو هريرة : «على الإبل»[٥] .

وقال سفيان : «على النوق»[٦] . وجمع ابن عباس في رواية عطاء بين هذه الأقوال فقال : «مَن كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله على خيل ، لا تَرُوث ، ولا تبول ، لَجْمُها[٧] من الياقوت[٨] الأحمر ، ومن الزَّبَرْجَد[٩] الأخضر ، ومن

---

(١) تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥ ، وتاج العروس (وفد) ٥/ ٣٢٢ .

(٢) ذكرت كتب اللغة نحوه .
انظر : تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥ ، وتاج العروس ٥/ ٣٢٢ ، ولسان العرب ٨/ ٤٨٨١ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٤ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٢٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٨ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٢٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٨ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٩١ .

(٧) لُجَمَة الدابة : موقع اللجام من وجهها ، واللجام : عصا أو حبل يدخل في فم الدابة ويلزق إلى قفاه . انظر : تهذيب اللغة (لجم) ٤/ ٣٢٣٨ ، والصحاح (لجم) ٥/ ٢٠٢٧ ، ولسان العرب (لجم) ٧/ ٤٠٠١ .

(٨) اليَاقُوت : حجر من الأحجار الكريمة ، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ، ويستعمل للزينة ، وهو فاعول ، الواحدة ياقوتة والجمع يواقيت . انظر : الصحاح (يقت) ١/ ٢٧١ ، والمعجم الوسيط (الياقوت) ٢/ ١٠٦٥ ، ولسان العرب (يقت) ٨/ ٤٩٦٤ .

(٩) الزَّبَرْجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، ويستعمل للزينة ، وهو من الجواهر المعروفة . انظر : تهذيب اللغة (زبرجد) ٢/ ١٥٠٨ ، ولسان العرب (زبرجد) ٣/ ١٨٠٦ ، والمعجم الوسيط (الزبرجد) ١/ ٣٨٨ ، ومختار الصحاح (الزبرجد) ١١٣ .

الـدّر[١] الأبيـض وسُرُوحُهَـا[٢] من السـندس[٣]، ومَـن كان يحب ركوب الإبل فعلى نَجَائِـب[٤] لا تبعر ولا تبول، أَزِمَّتُها[٥] الياقـوت والزَّبَرْجَد، ومَن كان يحب ركوب السـفن فعلى سـفن من زَبَرْجَد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الأهوال»[٦].

وقال أهل اللغة: «الوفد: الركبان المكرمون»[٧].

وإلى هذا ذهب الربيع بن أنس فقال في قوله: ﴿وَفْدًا﴾ قال: «يُحيَّون ويعطون ويكرمون ويشفعون»[٨].

---

(١) الدُّر: العظام من اللؤلؤ، الواحدة درة، ومنه الكوكب الدري نسبة إلى الدر في صفائه وحسنه. انظر: تهذيب اللغة (درر) ٢/ ١١٧٢، ومقاييس اللغة (در) ٢/ ٢٥٥، ولسـان العرب (درر) ٣/ ١٣٤٧، والقاموس المحيط (الدر) ٣٩١.

(٢) السَّريح: السير الذي تشد به الخدمة فوق الرسغ، والسرائح والسرح: نعال الإبل، وقيل سيور نعالها كل سير منها سريحة. انظر: تهذيب اللغة (سرح) ٢/ ١٦٦٥، والقاموس المحيط (السرح) ١/ ٢٢٣، ولسان العرب (سرح) ٤/ ١٩٨٤.

(٣) السُّـندس: رقيق الديباج ورفيعه، والاسـتبرق: غليـظ الديباج. انظر: تهذيب اللغة (سـندس) ٢/ ١٧٧٢، والقاموس المحيط (السندس) ٥٥١، ولسـان العرب (سندس) ٤/ ٢١١٧، والمعجم الوسيط (السندس) ١/ ٤٥٤.

(٤) النَّجِيْبُ مـن الإبل: القوي منهـا، الخفيف السريع. انظـر: تهذيب اللغة (نجـب) ٤/ ٣٥١١، والقاموس المحيط (النجيب) ١٣٦، ولسـان العرب (نجب) ٧/ ٤٣٤٢، ومختار الصحاح (نجب) ٢٦٩.

(٥) الزِّمَام: الخيط الذي يشـد في البرة، أو في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود، وزَمَمْتُ البعير: خطمته. انظـر: تهذيـب اللغـة (زم) ٢/ ١٥٥٩، والصحاح (زمـم) ٥/ ١٩٤٤، ولسـان العرب (زمم) ٣/ ١٨٦٥، والمعجم الوسيط (الزمام) ١/ ٤٠١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥١.

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٢، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٦، وتهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥.

(٨) بحر العلوم ٢/ ٣٣، والكشف والبيان ٣/ ١٣ أ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٨.

قال صاحب النظم : «هذا من باب الإيماء بالشيء إلى الشيء ؛ لأن قوله : ﴿وَفْدًا﴾ دليل على أنهم يثابون ويجزون ؛ لأن الوفد هم الرسل يقدمون على الملوك بالصلح وبالفتوح والبشارات فهم يتوقعون الجوائز ، وكذلك أهل الجنة بهذه الحال»[(١)] .

وقال أصحاب العربية : «اسم الوفد لا يقع إلَّا على الركبان ؛ لأن اشتقاقه من قولهم : أوفد على الشيء ، إذا أشرف عليه ، وأنشدوا[(٢)] :

تَرَى الـعِـلاَفِيَّ عَـلَيْهَـا مُـوْفَداً كَأَنَّ بُرْجـًا فَوْقَهَـا مُشَـيَّدَا

ويقال : رأيت فلاناً مسْـتَوْفِداً إذا قعد منتصباً غير مطمئن . فهذا الاسم من حيث الاشتقاق يدل على أنه يقع على الركبان ؛ لأنهم أشرفوا على مركوبهم»[(٣)] .

ويـدل على صحة هذا ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : «لَمَّا نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله ، قد رأيت الملوك ووفودهم ، فلم أرَ وفداً إلَّا ركباناً ، فما وفد الله ؟ الحديث بطوله»[(٤)] . ومن حيث العرف يدل على أن هذا الاسم يقع على

---

(١) ذكر نحوه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٢٣ بلا نسبة ، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٦ .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة والمعاجم .
العِلاَفِيَّ : هو الرجل المنسوب إلى علاف ، رجل من الأزد هو زبان أبو جرم من قضاعة ، كان يصنع الرحال ، وقيل هو أول مَن عملها ، فقيل لها علافية لذلك . انظر : تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥ ، ولسان العرب (وفد) ٨/ ٤٨٨١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٢٩ ، والصحاح ٢/ ٥٥٣ ، ولسان العرب ٨/ ٤٨٨١ ، والمفردات في غريب القرآن ٥٢٨ .

(٤) رواه ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤١ عن ابن أبي حاتم ، قال : «وروى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن علي ـ ثم ذكر الحديث وقال في نهايته ـ هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه ، بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم» ، وأخرجه السيوطي في الدر ٤/ ٥٠٨ ، وعزاه لابن أبي الدنيا ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طرق عن علي ، وذكره القرطبي ١١/ ١٥٢ ، والألوسي في روح المعاني ١٦/ ١٣٥ ، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه =

مَن يُحيَّا ويكرم كما ذكره صاحب النظم ، فإذاً معنى الوفد : الركبان المكرمون ، كما ذكره أهل اللغة ، وهو اختيار أبي إسحاق[١] .

٨٦. قوله تعالى : ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .قال ابن عباس في رواية الضحاك : «الكافرين»[٢] . ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ .قال جماعة أهل التفسير : «عطاشاً»[٣] . وزاد أبو عبيدة والفرَّاء ، والزجَّاج : «مشاةً»[٤] . والوُرُوْدُ في اللغة معناه : الجماعة التي تَرِد الماء من طير أو إبل[٥] .

قال ابن السكيت : «الوِرْدُ وُرُوْدُ القوم الماء ، والوِرْدُ الماء الذي يُوْرَدُ ، والوِرْدُ الإبل الوَارِدَة»[٦] .

قال رؤبة[٧] :

لَوْ دَقَّ وِرْدِي حَوْضَهُ لَمْ يَنْدَهِ

= في كتاب الجنة ١٢/ ١٦١ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٧ وصحَّحه ، وتعقَّبه الذهبي لضعف عبدالرحمن بن إسحاق ، وأخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده ١/ ١٥٥ .

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٦ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٦٠ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٢٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٩ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٢ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ورد) ٤/ ٣٨٦٩ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٠٥ ، والصحاح ٢/ ٥٤٩ ، ولسان العرب ٨/ ٤٨١٠ ، والمفردات في غريب القرآن ٥١٩ .

(٦) تهذيب اللغة (ورد) ٤/ ٣٨٦٩ ، ولسان العرب (ورد) ٨/ ٤٨١٠ .

(٧) البيت لرؤبة . لم يَنده : النده الزجر عن كل شيء والطرد عنه بالصياح ، تقول : ندهت البعير إذا زجرته عن الحوض وغيره . انظر : تهذيب اللغة (ورد) ٤/ ٣٨٦٩ ، ولسان العرب (ورد) ٨/ ٤٨١٠ .

قال صاحب النظم : «هـذا من باب الإيماء بالشيء إلى الـشيء ؛ لأن الوِرْد وُرُوْد الماء ، ولا يَرِدُ أحد الماء إلَّا بعد العطش ليشرب ، فأومأ بهذا إلى أنهم عطاش يساقون إلى النار»[١] . ومضى الكلام في الورد عند قوله : ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود :٩٨] .

٨٧. قوله تعـالى : ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ ؛ أي لا يملـك هؤلاء الكافرون الشـفاعة . والمعنى : لا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض وهو قول : ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ و . ﴿مَنِ﴾ في موضع نصب على استثناء ليس من الأول على معنى : لا يملك الشفاعة المجرمون ، ثم قـال : ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ على معنى : لكن مَن اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة[٢] .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «العهد : شهادة أن لا إله إلَّا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ، ولا يرجو إلَّا الله»[٣] .

ومضى الكلام في تفسير اتخاذ العهد عند قوله : ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم :٧٨] .

٨٨. قوله تعـالى : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ ؛ يعني اليهود ، والنصارى ، ومَن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : الكشاف ٢/ ٤٢٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣٦ ، ولسان العرب (ورد) ٨/ ٤٨١٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٢٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٦ .

(٣) جامع البيـان ١٦/ ١٢٨ ، والمحرر الوجيز ١١/ ٥٧ ، وتفسـير القرآن العظيـم ٣/ ١٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٠ .

٨٩. قال الله -تعالى- مخاطباً لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾؛ أي «عظيماً»، في قول ابن عباس، وجميع المفسرين[١]. قال الراجز[٢]:

قَدْ لَقِيَ الأَعْدَاءُ مِنِّي مُنْكَرَا
دَاهِيَـةً دَهْـيَـاءَ إِداً إِمْـرَا

قال الفـرَّاء، والزجَّاج: «يقال: إِدّاً وأَداً، وهي قراءة السـلمي[٣][٤]، وآدَّ بوزن: مَادَّ ومعناه: الشيء العظيم»[٥]. وأنشد الليث لرؤبة[٦]:

وَالإِدَدَ الإِدَادَ وَالعَضَائِلاَ

قـال: «وواحد الإِدَد إِدَّة، وواحـد الأَدَاد أَدَّ»[٧]. ومعنى الآية: قلتم قولاً عظيماً.

---

(١) تفسـير القرآن للصنعاني ٢/ ١٣، وجامـع البيان ١٦/ ١٢٩، والنكت والعيـون ٣/ ٣٩٠، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٣، والدر المنثور ٤/ ٥١١.

(٢) لم أهتدِ إلى قائله، وقد ذكرته كتب التفسـير واللغة من دون نسـبة. انظر: جامع البيان ١٦/ ١٢٩، والنكت والعيـون ١٣/ ٣٢٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩، ومجـاز القرآن ١/ ٤٠٩، والدر المصون ٧/ ٥٢٨، وشواهد الكشاف ١٣٠، ولسان العرب (أمر) ١/ ١٢٩.

(٣) عبـدالله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبدالرحمن السـلمي، من كبار التابعـين، وُلد في عهد النبي ﷺ، ولأبيه صحبة، قرأ القـرآن وجوَّده وعرضه على عثمان وعلي وابن مسـعود رضي الله عنهم، وروى عن عدد من الصحابة، توفي -رحمه الله- سـنة ٧٤هـ. انظر: طبقات ابن سـعد ٦/ ١٧٢، والجرح والتعديـل ٥/ ٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، وغاية المنتهى ١/ ٤١٣، ومعرفة القرَّاء الكبار ١/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧.

(٤) جامـع البيان ١٦/ ١٢٩، والمحرر الوجيز ٩/ ٥٤٠، والجامع لأحـكام القرآن ١١/ ١٥٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨، والمحتسب ٢/ ٤٥.

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٦.

(٦) البيت لرؤبة. انظر: تهذيب اللغة (أد) ١/ ١٣٣، ولسان العرب (أدد) ١/ ٤٣.

(٧) تهذيب اللغة (أد) ١/ ١٣٣، ولسان العرب (أدد) ١/ ٤٣.

٩٠. قوله تعالى : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وقُرئ : بالياء[١] . وكلاهما حسن ، وقد تقدم ذلك .

قال أبو علي : «إلحاق علامة التأنيث أحسن ؛ لأن الجمع بالألف والتاء في الأصل للجمع القليل ، والجمع القليل يشبه الآحاد ، وكما أن الأحسن في الآحاد إلحاق العلامة في هذا النحو فكذلك مع الألف والتاء»[٢] .

وأهل التأويل على أن المعنى ﴿تَكَادُ﴾ هاهنا : تدنو من الانشقاق ، كما يقال : كاد يفعل ذلك إذا دنا من أن يفعله . وزعم أبو الحسن الأخفش أن ﴿تَكَادُ﴾ هاهنا معناه : نريد من غير دنو فقال : «هَمَمْنَ به إعظاماً لقول المشركين ، ولا يكون من همَّ بالشيء أن يدنو منه ، ألا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يدنُ من ذلك وقد كانت منه إرادة ، ونحو هذا قال في قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف :٧٦] ؛ أي أردنا له»[٣] ، وأنشد :

كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْمِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى[٤]

---

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء ، وقرأ نافع ، والكسائي (يكاد) بالياء . انظر : السبعة ٤١٣ ، والحجة ٥/ ٢١٣ ، والتبصرة ٢٥٧ ، والنشر ٢/ ٣١٩ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٤ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٧ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٩ .

(٤) لم أهتدِ إلى قائله ، وورد البيت في كتب التفسير واللغة . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، والدر المصون ٧/ ٦٤٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٧ ، والمحتسب ٢/ ٣١ ، والأضداد لابن الأنباري ٩٧ ، ولسان العرب (كيد) ٧/ ٣٩٦٦ .

وقوله تعالى : ﴿يَنفَطَرْنَ﴾ وقُرئ : ينفطرن[١] . ومعناهما واحد ، يقال : انفطر الشيء ، وتفطر : إذا تشقق . قال امرئ القيس[٢] :

كَخُرْعُوْبَةِ البَانَةِ المُنفَطِرْ

إلَّا أن انفَطَر مطاوع فَطَر ، وتَفَطَّر مطاوع فَطَّر ، واختار أبو عبيدة ينفطرن بالنون[٣] ، لقوله : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار :١] ، وقوله : ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل :١٨] .

قال أبو علي : «وهذا لا يدل على ترجيح هذه القراءة ؛ لأن ذلك في القيامة لما يريد الله – سبحانه – من إبادتها وإفنائها . وما في هذه السورة إنما هو لعظم فِرْيتهم وعُتوهم في كفرهم . والمعنيان مختلفان ، وتفطر بهذا الموضع أليق من انفطر ، لما فيه من معنى المبالغة ؛ لأنه يدل على الكثرة ، كما أن فطر يدل على التكثير»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ . تخر : تسقط . وقد مضى الكلام فيه[٥] . والهد : الكسر الشديد والهدم ، يقال : هدَّني هذا الأمر وهَدَّ ركني[٦] .

---

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، وابن عامر (ينفطرن) بالنون والتخفيف ، وقرأ حفص عن عاصم ، وابن كثير ، ونافع ، والكسائي ﴿يَنفَطَرْنَ﴾ بالتاء والتشديد . انظر : السبعة ٤١٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٤ ، والتبصرة ٢٥٧ ، والعنوان في القراءات ١٢٧ .

(٢) هذا عجز بيت لامرئ القيس يصف فرسه وخروجه إلى الصيد ، وصدره :

بَرَهْرَهَةُ رُؤْدَةُ رَخْصَةُ

البَرَهْرَهَة : الرقيقة الجلد وقيل الملساء المترجرجة . والرُّؤْدَة : الرخصة الناعمة . والخُرْعُوْبَة : القضيب الغض . والغض المنثني . انظر : ديوانه ٦٩ ، وتهذيب اللغة (الخرعبة) ١/ ١٠١٤ ، ولسان العرب (خرعب) ٢/ ١١٣٨ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٨ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٤ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف :١٤٣] .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (هد) ٤/ ٣٧٢٨ ، ومقاييس اللغة (هد) ٦/ ٧ ، والقاموس المحيط (الهد) ٣٢٨ ، والصحاح (هدد) ٢/ ٥٥٥ ، والمفردات في غريب القرآن (هدد) ٥٣٨ .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «هدماً»[١] . وروي عنه : «كسراً»[٢] . وهو قول الفرَّاء[٣] .

وقال أبو عبيدة : «سقوطاً»[٤] . وهو اختيار القتبي[٥] .

قال المفسرون : «لما قالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ اقشعرت الأرض ، وشاك الشجر[٦] ، وغضبت الملائكة ، واستعرت جنهم ، وفزعت السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلَّا الثقلين»[٧] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «فلمَّا كادت السماوات أن تنشق ، والأرض أن تنشق ، والجبال أن تنهد اقشعرت الجبال وما فيها من الأشجار والبحار وما فيها من الحيتان ، فصار في الحيتان الشوك ، وفي الأشجار الشوك»[٨] . هذا كلام المفسرين .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣٠ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٤ ، والقرطبي ١١/ ١٥٧ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ١٣ ب ، وذكر في معالم التنزيل ٥/ ٢٥٦ من دون نسبة ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٢ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٢/ ٤ .

(٦) صار ذا شوكٍ .

(٧) المحرر الوجيز ٩/ ٥٣٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٨ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٨ .

وذهب أهل المعاني : «إلى أن هذا مثل على عادة العرب ، وذلك أن العرب كانت إذا سمعت كذباً ومنكراً تعاظمته عظمته بالمثل الذي كان عندها عظيماً فتقول :كادت الأرض تنشق ، وأظلم على ما بين السماء والأرض ، فلمَّا افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها»[(١)] .

ومما يقرب من هذا قول الشاعر[(٢)] :

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فِي السَّمَاءِ مُبَيَّناً عَلَى ابْنِ لُبَيْنَى الحَارِثِ بنِ هِشَام

وقول الآخر[(٣)] :

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَام

وقول آخر[(٤)] :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُوْرُ المَدِيْنَةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٥٤١ ، والكشاف ٢/ ٤٢٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٥٤ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٥ .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ورد البيت في كتب التفسير . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٥٤١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٤١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٦ .

(٣) البيت للحارث بن خالد بن العاص . انظر : البحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٦ ، والاشتقاق ١٠١ ، والكامل ٢/ ٤٨٧ ، والتصريح ١/ ٢١٢ ، ولسان العرب (قثم) ٦/ ٣٥٣٤ .

(٤) البيت لجرير ، قاله في قصيدة يهجو بها الفرزدق . انظر : ديوان جرير ٢٧٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، ولسان العرب (حرث) ٢/ ٨٢١ .

٩١. قولــه تعــالى : ﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ .قال الفــرَّاء : «أن دعوا ، ولأن دعوا وموضع ﴿أَن﴾ نصب بســقوط الخافض»[(١)] . وقال الكسائي : «موضعها خفض»[(٢)] . وهذه المســألة قــد تقدمت . ومعنى : دعوا له ولداً سموا له ولداً ، وجعلوا له ولداً . أنشد ابن الأعرابي على هذا[(٣)] :

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعو صَدِيْقاً وَإِنْ تَرَى
مَقَالَتَهُ بِالغَيْبِ يَأْتِيْكَ مَا يفْرِي

قال : يريد تدعو : تحقق صداقته وتجعله صديقاً .

٩٢. قال الله تعــالى : ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ؛ أي لا يليق به اتخاذ الولد ؛ لأن اتخاذ الولد يقتضي مجانســة ، وكل مَن اتخذ ولداً اتخذه من جنســه والله -تعالى- منزه من أن يجانس شــيئاً أو يجانسه شيء ، محال في وصفه اتخاذ الولد ، وقال المفــسرون في قوله : ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ : «وما يصلح»[(٤)] . وهذه اللفظة لا يســتعمل منها المصــدر والفاعل ، وقد استعمل منها الماضي نادراً .

٩٣-٩٥. قوله تعالى : ﴿إِن كُلُّ﴾ ؛ أي مــا كل ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مَن فيها من الملائكــة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ مَن فيها من الخلق ﴿إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إلَّا يأتيه يوم القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً منقاداً يعني : أن الخلق عبيده ، وأن عيسى وعزيراً من جملة العبيــد ، وانتصب ﴿عَبْدًا﴾ على الحال .﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٨ ، والدر المصون ٧/ ٦٤٨ .
(٣) لم أهتدِ إلى قائله .
(٤) جامع البيان ١٦/ ١٣١ ، وتفســير القرآن العظيــم ٣/ ١٥٤ ، وزاد المســير ٥/ ٢٦٥ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٣ .

﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ؛ أي عرف عددهم ، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ لا يخفى عليه مبلغ جمعهم ، ولا واحد منهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا معه شيء من الدنيا[١] . وقيل وهو الصحيح : «إنه يأتي وحده لا أنصار له ولا أعوان ؛ لاشتغال كل واحد بنفسه»[٢] .

٩٦. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ ؛ أي يجعلهم يحب بعضهم بعضاً ، فيتراحمون ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض .

قال ابن عباس : «يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين»[٣] . ونحو هذا قال مجاهد ، وقتادة[٤] .

وقال هرم بن حيان[٥] : «ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلَّا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه محبتهم ومودتهم ورحمتهم»[٦] . وقال بعضهم : «يجعل لهم في قلوب الملائكة وداً ثم في قلوب العباد»[٧] .

وهذا مروي عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة قال : «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، قال : فينادي في السماء ، ثم تنول له

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٨٢ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ .

(٥) هرم بن حيان الأزدي العبدي ، أحد التابعين ، روى عن بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وروى عنه الحسن البصري ، اشتُهِر بكثرة العبادة والزهد . انظر : الجرح والتعديل ٩/ ١١٠ ، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٥٨ ، والتاريخ الكبير ٤/ ٢٤٢ ، والطبقات الكبرى ٧/ ١٠٢ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦١ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٥٦ .

المحبة في أهل الأرض»[١] . فذلك قول الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية . قال عطاء عن ابن عباس : «نزلت الآية في عبدالرحمن بن عوف جعل الله له في قلوب العباد المودة لا يلقاه مؤمن إلى وقره ، ولا مشرك ولا منافق إلَّا عظمه»[٢] .

وعلى هذا القول قال ابن الأنباري : «سمي الواحد باسم الجمع لدخول مَن فعل مثل فعله في مثل وصفه وحسن جزائه»[٣] .

٩٧. قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ ؛ أي هوَّنَّاه وأنزلناه بلغتك ليسهل عليك الإبلاغ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾ ؛ أي بالقرآن مَن أطاعك ﴿وَتُنذِرَ﴾ مَن عصاك . وقال الكلبي : «هوَّنَّاه على لسانك»[٤] . وعلى هذا لم يرد باللسان اللغة .

وقوله تعالى : ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ . قال أبو صالح[٥] : «عوجاً عن الحق»[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٦/ ٣٠٣ ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده : ٤/ ٢٠٣٠ ، والإمام أحمد في مسنده ٩٢/ ٢٦٧ . انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٣ .

(٢) القرطبي ١١/ ١٦١ ، وذكر نحوه في جامع البيان ٦/ ١٣٣ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٤ ، قال : «روي أن هذه الآية نزلت في هجرة عبدالرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم» . انظر : لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٦ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٤ .

(٣) ذكر نحوه في المذكر والمؤنث ٦٧١ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٣٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٦٢ .

(٥) هو باذام الهاشمي ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، تقدمت ترجمته .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢١ ، وروح المعاني ١٦/ ١٤٤ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٠ .

وقال مجاهد : «لا يستقيمون»[١] . وقال قتادة : «جدلاً بالباطل»[٢] .

وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة :٢٠٤] . وروي عن الحسن أنه قال في تفسيره : «صماً»[٣] . وزاد الربيع بياناً فقال : «صم آذان القلوب»[٤] .

وهذه الأقوال كلها معنى وليس بتفسير . والتفسير قول قتادة ، وذلك أن خصومتهم بالباطل إنما هو بصمم قلوبهم ، ولو فهموا ما أتى به النبي ﷺ لتركوا جدالهم ، فإذاً الصمم وغير ذلك مما ذكرنا من قول المفسرين معاني اللدِّ لا تفسيره .

قال ابن الأنباري : «وخص اللد بالإنذار ؛ لأنهم إذا قامت عليهم الحجة صار غيرهم لاحقاً بهم من أجل أن الذي لا عناد عنده يسرع انقياده ، فالمقصود بالإنذار هؤلاء اللد المخاصمون»[٥] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ يعني : قبل القوم اللد ، وهم قريش ، وهذا تخويف لهم بالإهلاك .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٣ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩١ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٣ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٢ ، والكشف والبيان ٣/ ١٤ب ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٥٥ من دون نسبة .

(٥) ذكر نحوه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٢٦ ، والقرطبي ١١/ ١٦٢ .

وقولـه تعـالى : ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم﴾ ؛ أي هل تـرى من الذيـن أهلكناهم ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ؛ أي صوتـاً . قاله ابن عباس والمفسرون[١] . وقال زيد : «حساً»[٢] . وقال أهل اللغة : «الركز : الصوت الخفي»[٣] ، وأنشدوا قول لبيد[٤] :

وَتَوَجَّسَتْ رِكْزَ الأَنِيسِ فَرَاعَهَا عَنْ ظَهرِ غَيْبٍ وَالأَنِيسُ سَـقَامُهَا

ومضى الكلام في معنى أحس[٥] ، وتحقيـق معنى الآية : وكم أهلكنا قبلهم من قرن بتكذيب المرسـلين يعظهم بهذا ، ويلزمهم الاعتبار بمَن تقدم من الأمم المكذبة .

* * *

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩١ ، وتفسـير القـرآن العظيم ٣/ ١٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٤ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغـة (ركز) ٢/ ١٤٥٩ ، والقاموس المحيط ٥١٢ ، والصحاح ٣/ ٨٨٠ ، واللسـان ٣/ ١٧١٧ ، والمفردات في غريب القرآن ٢٠٢ .

(٤) البيت للبيد ، ذكره في معلقته . انظـر : ديوانه ١٧٣ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٨٤ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٣٨ ، والدر المصون ٧/ ٦٥٤ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران :٥٢] .